المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

وصيتا عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما (دراسة بلاغية موازنة).

The commandments of Amr bin Kulthum and Al-Harith bin Ka'b to his sons (a critical rhetorical study)

بقلم الدكتورة

آيات علي محمد إسماعيل إبراهيم مكي

مدرس البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

وصيتا عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما
(دراسة بلاغية موازنة).

آيات علي محمد إسماعيل إبراهيم مكي

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: ayatismail.2075@azhar.edu.eg

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى: بيان ما تحمله الوصايا في العصر الجاهلي من حِكم وقيم وتجارب حياتيه؛ لذا اخترت وصيتي عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما (دراسة بلاغية موازنة)، وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهرسين، ومع أن الدراسات البلاغية التي قامت حول الأدب في العصر الجاهلي غزيرة، لكن باب الوصايا فيه ما زال في حاجة للكشف عن أسراره، سواء أكانت وصايا أدبية، أم وصايا اجتماعية كالوصيتين محل الدراسة؛ لذا تراءى لي أن أستخرج دُرَّة من بحره الواسع، فوقع نظري على وصيتي عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما، حيث إنني وجدتهما تشتملان على قيم وأخلاق تترك أثرًا قويمًا في نفس من تلقى عليهم، فجاءت هذه الدرة بعنوان: (وصيتا عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما (دراسة بلاغية موازنة)، قمت بتعريف الوصية، وبيان أنواعها، حيث إنها تنقسم إلى قسمين: أدبية واجتماعية، مبينة كل قسم من الأقسام على حدة، وتناولت الوصيتين محل البحث، وقمت بتوضيحها وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا وافيًا وفاءً بحق المعنى، وقد قامت الدراسة في هذا البحث على المنهج التحليلي التكاملي، وتوصل البحث لمجموعة من النتائج منها: كان لفعل الأمر الصدارة في الكلام، ودار حول النصح والإرشاد، وكانت المعاني عميقة وواضحة لا غموض فيها، واعتمد الموصيان على نصائح وحكم كثيرة مستخلصة من تجارب حياتهما، فصاغوها لأبنائهم؛ لينتفعوا بها، وليستفيد منها المجتمع.

وتنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء، فحينما يريدان تنبيه أبنائهما وإصغائهما إلى ما سيلقى عليهم يأتيان بالأسلوب الإنشائي، وحينما يعمدان إلى تقرير الحقائق وتوكيدها يأتيان بالأسلوب الخبري؛ لأن له تأثيرًا على العقل حين تعرض عليه الحقائق، كما تبين قلة الصورة البيانية عندهما، وهذا من خصائص الوصايا في العصر الجاهلي؛ لأنهما يسردان لأبنائهم أمورًا من واقع خبرتهما وطول تجربتها في الحياة، وكان لعلم البديع دور في خدمة الوصيتين، والذي أضفى على الكلام رونقًا وجمالًا ونغمًا موسيقيًّا، وتعددت الفنون البديعية اللفظية والمعنوية، وغلب على أسلوبهما السجع الناتج من إتقان فواصل الجمل، فقد كان عفويًّا طلبه المعنى واستدعاه دون تكلف، وجاء تابعًا للمعنى.

الكلمات المفتاحية: وصيتا، عمرو بن كلثوم، الحارث بن كعب، بنيهما، دراسة، بلاغية، موازنة

The commandments of Amr bin Kulthum and Al-Harith bin Ka'b to his sons (a critical rhetorical study).

Ayat Ali Muhammad Ismail Ibrahim Mekkey
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Al-Qurain, Al-Azhar University.
Email: ayatismail.2075@azhar.edu.eg

Abstract

This study aims to: explain the wisdom, values and life experiences that the commandments contained in the pre-Islamic era. Therefore, I chose the commandment of Amr ibn Kulthum and al-Harith ibn Ka'b to his sons (a critical rhetorical study). The research was organized into an introduction, a preface, six sections, a conclusion, and two indexes. Although the rhetorical studies that have been conducted on pre-Islamic literature are abundant, the section on commandments in it still needs to be explored. Its secrets, whether they are literary commandments or social commandments, such as the two commandments under study: Therefore, it seemed to me to extract a pearl from his wide knowledge, and my sight fell on the commandment of Amr bin Kulthum and Al-Harith bin Ka'b to his sons, as I found them to contain values and morals that would leave a strong impact on the souls of those they met, so this pearl came under the title: (The Commandment of Amr bin Kulthum and Al-Harith bin Ka'b Labanih (a critical rhetorical study), I defined the commandment and explained its types, as it is divided into two parts: literary and social, explaining each type separately. I dealt with the two commandments in question, and I clarified and analyzed them in a comprehensive rhetorical analysis to fulfill the meaning. The study was conducted In this research based on the integrative analytical approach, the research reached a set of results, including: The imperative verb and its noun were at the forefront of speech, and revolved around encouragement and intimidation, advice and guidance, and the meanings were deep, clear and

unambiguous, and they relied on many advice and wisdom extracted from their life experiences, so they formulated them. For their sons to benefit from it and for society to benefit from it .

The style varies between reporting and constructing. When they want to alert their sons and make them listen to what commandment be presented to them, they use the constructive style, and when they intend to report and confirm the facts, they use the informative style. Because it has an impact on the mind when facts are presented to it, just as the science of rhetoric and the science of Badi' had a role in serving the two commandments and discovering their rhetorical secrets.

Keywords: Commandment, Amr bin Kulthum, Al-Harith bin Ka'b, his sons, study, rhetorical, critical.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة، وآلائك الضافية، وأصلي وأسلم على رسولك المجتبى، سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد،

فإن الأدب بنوعيه ديوان العرب ومآثر مفاخرهم، والمعبر عن حياتهم، والمترجم لكل ما يدور فيها، والدارس للأدب العربي لا بد أن يقف عند العصر الجاهلي، ليرى فيه ملامح البيئة العربية، والوصايا هي إحدى فنون النثر الأدبي الجاهلي وغيره، وهي خلاصة تجارب الموصي في حياته، وقد شاعت بين الجاهليين، وأكثر ما تكون عند الإحساس بنهاية الأجل أو الفراق، وتكون من أب لأبنائه، أو من أم لبناتها، أو من حكيم لقومه، يعطونهم ما اكتسبوه من خبرة وتجارب تدعو إلى التدبر في الأمور.

ومع أن الدراسات البلاغية التي قامت حول الأدب في العصر الجاهلي غزيرة، لكن باب الوصايا فيه ما زال في حاجة للكشف عن أسراره، سواء أكانت وصايا أدبية أم وصايا اجتماعية كالوصيتين محل الدراسة، مما يدل على عناية الأدباء الجاهليين بتربية أبنائهم، وغرس القيم والمبادئ في نفوسهم، فما أحوجنا إليها اليوم؛ لذا تراءى لي أن أستخرج دُرَّة من بحره الواسع، فوقع نظري على وصيتي عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما، حيث إنني وجدتهما تشتملان على قيم وأخلاق تترك أثرًا قويمًا في النفوس، فجاءت هذه الدرة بعنوان: **(وصيتا عمرو بن كلثوم والحارث بن كعب لبنيهما (دراسة بلاغية موازنة).**

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهم أسباب اختيار هذا الموضوع فيما يأتي:

- أهمية دور الوصية في التوجيه والإرشاد، حيث إنها تشتمل على قيم أخلاقية تترك أثرًا إيجابيًّا في نفس من تلقى عليهم.
- تعتبر الوصية من أهم الأسس والمبادئ التي تقوم عليها الحياة في كل المجالات.
- اشتمال الوصيتين على جملة من مكارم الأخلاق التي أكد عليها الإسلام، وحث عليها.
- كثرة الفنون البلاغية في الوصيتين، حيث إن تذوق البلاغة في الأدب بنوعيه وسيلة لتذوقها في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

أهداف البحث:

- دراسة فن الوصايا في العصر الجاهلي، وبيان ما تحمله من قيم وحِكم وتجارب صادقة.

-الكشف عن المعاني المترتبة على كل وصية، والوقوف على الألفاظ المعبر بها.

-إبراز ما أسهمت به الفنون البلاغية في باب الوصايا في العصر الجاهلي.

منهج البحث:

أولًا: اعتمدت في دراستي على كتاب "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة"، الباب الأول: الخطب والوصايا في العصر الجاهلي؛ وذلك لجمعه الوصيتين اللتين قامت الدراسة عليهما.

يقول المؤلف أحمد زكي صفوت: جمعتُ فيه كل ما أثر عن العرب في عصور العربية الزاهرة، من خطب ووصايا من مظانها، وبوبتُه أربعة أبواب في ثلاث أجزاء:

الجزء الأول: ويحوي الباب الأول: الخطب والوصايا في العصر الجاهلي، والباب الثاني: الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام.

الجزء الثاني: ويحوي الباب الثالث: الخطب والوصايا في العصر الأموي.

الجزء الثالث: ويحوي الباب الرابع: الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول، وذيل الجمهرة، في خطب متفرقة، حرر الكتاب بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٥٢هـ، يوليو سنة ١٩٣٣م.

ثانيًا: وقفت على كل وصية على حدة؛ لإظهار المعاني البلاغية المترتبة عليها، وحللتها تحليلًا بلاغيًّا وافيًا وفاءً بحق المعنى، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي التكاملي.

خطة البحث:

وقد جاء هذ البحث في: (مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهرسين).

فأما المقدمة: فتناولت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد فجاء بعنوان: التعريف بالوصية "الضابط والدلالة"، وجاء ذلك في:

أولًا: التعريف بالوصية وأنواعها.

ثانيًا: التعريف بصاحبيها.

ثالثًا: نص الدراسة.

فصول البحث: وتشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وصية عمرو بن كلثوم دراسة بلاغية، ويشتمل على أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول جاء بعنوان: تجارب حياتية.

المبحث الثاني جاء بعنوان: داين تدان.

المبحث الثالث جاء بعنوان: الحث على التحلي بالأخلاق الحميدة.

المبحث الرابع جاء بعنوان: أخذ الحذر والحيطة في كل الأمور.

الفصل الثاني: وصية الحارث بن كعب دراسة بلاغية، ويشتمل على ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول جاء بعنوان: تجارب حياتية.

المبحث الثاني جاء بعنوان: الحث على تقوى الله، والتحذير من معصيته.

المبحث الثالث جاء بعنوان: التحلي بالأخلاق الحميدة، وقطع الأمل في بقاء العلاقات.

الفصل الثالث: الموازنة بين الوصيتين، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول جاء بعنوان: الخصائص الفنية للوصيتين.

المبحث الثاني جاء بعنوان: الفنون البلاغية الواردة في الوصيتين.

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التمهيد

التعريف بالوصية "الضابط والدلالة"

أولًا: التعريف بالوصية، وأنواعها

الوصية في اللغة: من [وصى] أوصيت له بشيء وأوصيت إليه، إذا جعلته وَصِيَّكَ، والاسم: الوِصاية والوَصاية، بالكسر والفتح، وأوصيته ووصيته أيضًا تَوْصِيَةً بمعنًى، والاسمُ: الوَصاةُ. وتَواصى القوم، أي: أوْصى بعضُهم بعضًا، وفي الحديث: "اسْتَوْصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن عندكم عوان"(١).

وفي مجمل اللغة لابن فارس: وصى، وصيت أوصي توصية، وأوصيت إيصاءً"(٢).

وقوله: "وصى، والوَصاة كالوَصِيّة، والوِصايةُ مصدر الوَصيِّ، والفعل: أوصَيْتُ، ووَصَّيتُه تَوصِيةً في المبالغة والكَثرة، وأما الوَصِيَّةُ بعدَ الموت فالعالي من كلام العرب أوصَى، ويجوز وَصَى، والوَصِيَّةُ: ما أوصَيْتَ به، والوِصايةُ: فعِلُ الوَصِيِّ، وقد قيل: الوَصِيُّ الوِصايةُ"(٣).

الوصية في الاصطلاح: بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي: "قول بليغ مؤثر، ويتضمن حثًّا على سلوك طيب نافع، حبًّا فيمن توجه إليه الوصية، ورغبة

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،/٦/٢٥٢٥ الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان/١/٩٢٧، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣) كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،/٧/١٧٧الناشر: دار ومكتبة الهلال.

في رفعة شأنه، وجلب الخير له، وعادة تكون من أولياء الأمور، وبخاصة الأب والأم لأبنائهما عند حلول الشدائد، أو حدوث الأزمات أو الإحساس بدنو الأجل، وهي نتيجة الخبرة الطويلة والملاحظة الدقيقة، والعقل الواعي والتفكير السليم، ويدفع إليها المودة الصادقة والحب العميق"(١).

والوصية أيضًا هي: "خلاصة موجزة عن حياة المرء في شؤونه وشجونه تصاغ بأسلوب موجز بليغ يتوجه بها الآباء والقادة والذين اختبروا الحياة بكل ما فيها من حلو ومر، فيوصيهم بإعزاز الجار، وحماية النساء، وإغاثة الملهوف، وقرى الضيف، وكل الأمور التي يرى فيها مخايل السيادة والرفعة"(٢).

والوصايا هي:" التي يوصيك بها الشّخص لتفعلها وتكون على عاتِقِك، بحيث إنّ الشخص الذي أوصاك لا يستطيع فعلهُ بسبب مرض مزمن قد يؤدّي إلى الموت، أو أنّ يكتب ورقة وصيّة مثلًا بعد موتهِ يوصّي بأن يفعلَ الموصي بهِ شيئًا كتوزيع الأموال، والتبرُّع، حسب ما في الوصيّة، بحيث يصبح الموصى بهِ هو المسؤول عن الشيء الذي أوصى بهِ المتوفّي، ويجب عليهِ أن يفعلها.

أنواع الوصايا: من حيث الموضوع والمضمون، فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

الأول: وصايا اجتماعيةَ: وهي كالوصايا المتعلقة بالزواج، والمال، والصداقة، والعناية بالخيل وإكرامها، ومكارم الأخلاق كتهذيب اللسان، وتربية النفس، والحث على الصدق، والبذل والجود، ومن شواهدها وصية ذي الإصبع العدواني – لما احتضر– لابنه أسيد.

الثاني: وصايا سياسية: وهي تكون بين الراعي والرعية، والدعوة إلى الحرب، والدعوة إلى السلم، والتحذير من التنازع. والطابع العام للوصايا هو الأسلوب المرسل،

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، المؤلف: علي الجندي،ج٢٦٨/١،الطبعة: طبعة دار التراث الأول، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م الناشر: مكتبة دار التراث.

(٢) أدب العرب في عصر الجاهلية، د، حسين الحاج حسن/ ١٢،٢٧١، ط٣، ١٩٩٧م، ١٤١٧هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الذي يترك فيه الموصي نفسه على سجيتها، من دون تنميق أو زخرفة، مؤثرًا وضوح العبارات، ورشاقة التراكيب، وقصر الجمل بما يحقق المناسبة بين المعنى واللفظ وطبيعة المقام الذي تقال فيه الوصية"[1].

(١) تاريخ الأدب الجاهلي إعداد، أ. د/ حنفي محمود مصطفى شطير، أ. د/ مصطفى أحمد عبد اللاه جابر، أستاذا الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بجرجا،/٢٧١.

ثانيًا: التعريف بصاحبي الوصية

(أ)عمرو بن كلثوم (٠٠٠ – نحو ٤٠ ق هـ = ٠٠٠ – نحو ٥٨٤ م)

هو: "عَمْرو بن كُلْثُوم بن مَالك بن عتاب بن سعد بن زُهَيْر بن جشم بن بكر بن حبيب بن عَمْرو بن غنم بن تغلب، من (تغلب بن وائل)، وينتهي نسبة على (معد بن عدنان)، وأمه هي (ليلى) بنت (مهلهل)، **وهو** شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة، وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد، كان من أعز الناس نفسًا، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه (تغلب) وهو فتىً، وعمّر طويلًا، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند، وكان فارسًا أبيًّا جريئًا، حتى بلغ من أمره أن فتك بالطاغية (عمرو بن هند) في بلاط سلطانه، كان (عمرو بن كلثوم) شجاعًا مظفرًا مقدامًا فتاكًا، وبه يضرب المثل في الفتك، فيقال: أفتك من (عمرو بن كلثوم)؛ لفتكه بعمرو بن هند، وكان من حديث (عمرو بن كلثوم) أنه أغار على (بني تميم)، ثم مر من غزوه ذلك على حي من (بني قيس بن ثعلبة)، فملأ يديه منهم، وأصاب أسارى وسبايا، وكان فيمن أصاب (أحمد بن جندل السعدي)، ثم انتهى إلى بني (حنيفة) باليمامة وفيهم أناس من (عجل)، فسمع به أهل (حجر) فكان أول من أتاه من بني حنيفة (بنو سحيم) عليهم (يزيد بن عمرو بن شمر)، وقد ساد (عمرو بن كلثوم) قومه وهو ابن خمسة عشر عامًا، ومات وله من العمر مائة وخمسون سنة (١٥٠)، توفي في الجزيرة الفراتية سنة (٦٠٠) م (٥٢) قبل الهجرة" [(١)].

---

(١) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي،ج٥/٨٤،الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م الناشر: دار العلم للملايين.

– طبقات فحول الشعراء، المؤلف: محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله، المحقق: محمود محمد شاكر،ج١/١٥١،الناشر: دار المدني – جدة.

– معجم الشعراء، المؤلف: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو/ج١/١٨٢١، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

– رجال المعلقات العشر، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، ج١/٤٠ الطبعة الثانية،١٣٣٢هـ،المطبعة الأهلية بيروت.

(ب) الحارث بن كعب

هو:" الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة، من مذحج، من كهلان، جاهلي، من نسله بنو الديان (رؤساء نجران) وشريح بن هانئ (من أصحاب عليّ) ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان، صحب النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وقتل يَوْم اليمامة شهيدًا، قال عبدان: سمعت أحمد بْن سيار، يقول: الحارث جاهلي، حكى عن نفسه أَنَّهُ أتى عليه مائة وستون سنة، وذكر أَنَّهُ أوصى بنيه خصالًا حسنة، تدل عَلَى أَنَّهُ كان مسلمًا(١).

ثالثًا: نص الدراسة

(أ) وصية عمرو بن كلثوم لبنيه:

أوصى عَمْرُو بنُ كُلثُومٍ التَّغْلَبِيُّ بنيه، فقال:" يَا بَنِيَّ، إنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِلٍ، وَأنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِي مَا أُوْصِيكُم بِهِ: إنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَنْ سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عَن الشَّتمِ؛ فَإنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم، وَصِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دَارُكُم، وأَكرِمُوا جَارَكُم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُم، وَزَوِّجُوا بناتِ العَمِّ بَنِي العَمِّ، فَإنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إلَى الغُربَاءِ فَلَا تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكفَاءِ، وَأبْعِدُوا بُيوتَ النِسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأعَفُّ لِلذَّكَرِ، ومتى كانتِ المُعَايَنَةُ وَاللقَاءُ فَفِي ذَلك دَاءٌ مِن الأدواءِ، وَلَا خَيرَ فِيمَن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفسِه، وَقَلَّ مَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةً لِغَيْرِه إلَا انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ، وامْنَعُوا القَرِيبَ مِن ظُلْمِ الغَرِيبِ، فَإنَّك تُذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ، ولَا يَحِلُّ بِكَ ذُلُّ غَرِيْبِكَ،

---

(١) الأعلام للزركلي،ج١٥٧/٢.

– أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ج٦٣٢/١:٦٣٣،سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م الطبعة: الأولى الناشر: دار الكتب العلمية.

وإذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقُّكم لِلِّقَاءِ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيرٌ مِن أَلفٍ، وَوَدٌّ خَيرٌ مِن خَلَفٍ، وَإذَا حُدِّثتُم فَعُوا، وَإذَا حَدَّثتُم فَأَوجِزُوا، فَإِنَّ معَ الإكثارِ يَكونُ الإهذَارُ، وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضنًى آجِلٍ، وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعــدَه زَمَــانٌ، وَرُبّمَــا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَــةً، وَاعلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القَومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ، ولَا خَيرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِندَ الغَضَبِ، ولَا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ، ومِن الناسِ مَن لَــا يُرْجَــى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن برِّهِ، ولَا تُبَرِّحُوا فِــي حُبِّكُم، فَإِنَّه مَن بَرَّحَ فِي حُبٍّ آلَ ذَلِكَ إِلَى قَبيحِ بُغْضٍ، وكَمْ قَد زَارَنِي إنسَانٌ وَزُرْتُه، فَانقَلَبَ الدَّهرُ بِنَا فُبُرْتُهُ، واعلَمُوا أَنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وَأَنَّ السَيفَ كَلِيمٌ، إِنِّي لَــم أَمُــتْ، وَلَكِن هَرِمْتُ، وَدَخَلَتنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ، سَلَّمَكُم رَبُّكُم وَحيَّاكُم"(١).

(ب) وصية الحارث بن كعب لبنيه:

وأوصى الحارثُ بنُ كعبٍ بنيه، فقال: "يا بَنِيَّ، قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً، مَا صَافَحَتْ يَميني يمينَ غادرٍ، ولا قَنِعْتُ لنفسي بِخُلَّةِ فَاجِرٍ، ولاَ صَبَوْتُ بابنةِ عَــمٍّ ولاَ كَنَّةٍ، ولاَ بُحْتُ لِصديقٍ بِسِرٍّ، ولاَ طَرَحْتُ عَنْ مُومِسَةٍ قِنَاعًا، ولاَ بَقِي عَلَى دينِ عيسى بنِ مريمَ –وروي: على دين شعيب– من العربِ غيري وغيرَ تميمِ بنِ مُرَّةَ، وأَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، فَموتُوا عَلَى شَرِيعَتِي، واحْفَظُوا وَصَيَّتِي، وإِلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَــا أَهَمَّكُم، وَيُصْلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ، كُونُوا جميعًا، ولَا تَفَرَّقُوا فتكونوا شِيَعًا، وبُزُّوا قَبلَ أَنْ تُبَزُّوا، فَموتٌ فِي عِزٍّ خيرٌ مِن حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ، وَكلُّ ما هو كائنٌ كَائنٌ، وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى تَبَايُنٍ، وَالدَّهرُ ضَرْبَانِ، ضَربٌ بَلَاءٍ، وَضَربٌ رَخَاءٍ، واليومُ يَومَانِ، يَومُ حَبْرَةٍ، ويومُ عِبرَةٍ، والناسُ رَجُلَانِ، رَجلُ لَكَ، وَرجُلٌ عَليك، زَوِّجُوا النِّساءَ الأكفاءَ، وإِلَا فَانتَظِرُوا بِهِنَّ القَضَاءَ، وَلْــيكُنْ

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الباب الأول: الخطب والوصايا في العصر الجاهلي، المؤلف: أحمد زكي صفوت،ج١/١٢١:١٢٢، الناشر: المكتبة العلميــة بيــروت– لبنان.

أَطيبُ طِيبِهَّن المَاءَ، وَإِيَّاكُم والوَرْهَاءَ؛ فَإِنَّها أَدْوُأُ الدَّاءِ، وإِنَّ وَلَدَهَا إِلى أَفَنٍ يَكونُ، لَا رَاحةَ لِقَاطِعِ القَرَابَةِ، وَإِذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم، وَآفَةُ العَدُوِّ اخْتِلَافُ الكلمةِ، وَالتَّفَضُّلُ بِالحَسَنَةِ يَقِي السَيئةَ، والمُكَافأَةُ بالسيئةِ دُخولٌ فِيهَا، وَعَملُ السُّوءِ يُزِيلُ النِّعْمَاءِ، وقَطِعيةُ الرَّحمِ تُوْرِثُ الهَمَّ، وانتهاكُ الحُرمَةِ يُزِيلُ النِّعْمَةِ، وَعُقُوقُ الوالدينِ يُعْقِبُ النَّكَدَ، ويُخْرِبَ البَلَدَ، ويَمحَقُ العَدَدَ، والإسرافُ فِي النَّصيحةِ هو الفَضِيحةُ، وَالحِقْدُ يَمنعُ الرِّفْدَ، ولُزومُ الخَطِيئةِ يُعْقِبُ البَلِيَّةَ، وسوءُ الرَّعيةِ يَقْطَعُ أسبابَ المَنفعَةِ، والضَّغَائنُ تدعو إلى التَّبَاينِ، يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وَكَأَنِّي بهم قَد لَحِقْتُ، ثم قال"(١):

أَكَلْتُ شبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ... وَأَبْلَيْتُ بعدَ دُهورٍ دُهورًا
ثَلاثَةُ أَهْلِينَ صَاحَبْتُهمْ... فَبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبيرًا
قَلِيلُ الطَّعامِ عَسِيرُ القِيامِ.. قَد تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِى قَصِيرًا
أَبِيتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَماءِ... أُقَلِّبَ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورًا

******

تدور الوصيتان حول عدة نصائح يسديها الأبوان لأبنائهما، وهذه النصائح هي خلاصة تجاربهما في الحياة، بصفتهما كبراء القوم، والغرض من الوصيتين هو: الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة، والبعد عن الصفات الذميمة؛ لينالوا السيادة والشرف والعزة بين العرب.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ج١/١٢٣:١٢٤.

فصول البحث، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

وصية عمرو بن كلثوم دراسة بلاغية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تجارب حياتية

كشف الموصي فيه لأبنائه عمّا مر به من تجارب حياتية، وأثر هذه التجارب عليه، وما حصل عليه من الخبرة، فقال:" يَا بَنِيَّ إِنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِل، وَأَنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوْصِيكُم بِهِ"(١).

افتتحت الوصية بمقدمة قائمة على الحجة، هدفها الإقناع والتأثير؛ وذلك لبث تجربته الحياتية لبنيه؛ ليستفيدوا منها، فقال: **(يَا بَنِيَّ، إِنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي)**، واستهل وصيته بأسلوب إنشائي تمثل في النداء بأداة النداء: **(يا)** في قوله: **(يَا بَنِيَّ)** وهي لنداء البعيد ونادى بها القريب مع أنهم أمامه، للتقدير، وليبين رفعة شأن الأبناء لدى أبيهم، وما يفوزوا به إذا امتثلوا لأمره، ونفذوا وصيته، وأيضًا التنبيه كأنهم غافلون عنه، لاستمالتهم إلى الإصغاء لما سيلقى عليهم، فإذا ما أصغوا إليه استقر المعنى في النفس، وثبت في القلب، ثم أتبع النداء بالتصغير **(بَنِيَّ)**؛ لتدليل أبنائه.

وعمد إلى تقرير الحقائق وتوكيدها من خلال الأسلوب الخبري الإنكاري المؤكد بـ **(يَا بَنِيَّ، إِنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي)، فأكد كلامه بـ (**إن المشددة، وياء المتكلم، والفعل الماضي الدال على تحقق كِبرَ سنه، والفعل المضارع المجزوم بأداة النفي **(لَم)** في قوله: **(ما لم يَبلُغْ)**، حتى لا يترك مجالًا لبنيه للشك فيما يقول، وما سيلقى عليهم من نصائح، وليدل بأنه بلغ عمرًا لم يبلغه أحد من قبله.

---

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٣.

وكرر حرف الجر(**من**) للتأكيد؛ ليتناسب مع الوصية، فقد أكد لهم معنى لا ينكره أحد، وهو أنه قد كبِر سنه، وبلغ أرذل العمر، ودنا أجله، مع أن أبناءه لا ينكرون ذلك عليه؛ لأنهم ماثلين أمامه، وذلك لبث الطمأنينة في نفوسهم، وحثهم على العمل بما جاء في الوصيتين من توجيه وإرشاد، ولم يحدد بن كلثوم العمر الذي بلغه، وإنما أخبرهم بأن الموت لا بد أن يبلغه كما بلغ آباءه وأجداده من قبل.

ثم كنى التغلبي بقوله: **(وَلَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِلٍ)** عن موصوف وهو الموت، والتنكير في **(أمرٍ، ومُقتَبِل)** للتعظيم والتهويل من شأن الموت الذي يأتي فجأة، مما يدل على استعداده له، وشدة حرصه على توعية أبنائه بأن يكونوا على أتم الاستعداد للموت، وليوحي لهم بأن هذه النصائح ربما لا تلقى عليهم مرة أخرى.

ثم عقبها بالاستعارة المكنية، وبالتذييل، وهو نوع من أنواع الإطناب لتأكيد كلامه، وجاء بالفعل المضارع للدلالة على تجدد واستمرار نشب المنايا أظفارها في أجساد العباد إلى يوم الحساب، فقال: **(وَأنْ يَنزِلَ بِي مَا نَـزَلَ بِالآبَـاءِ والأجـدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ)**، حيث شبه الموت المعنوي بإنسان ينزل في مكان ويقيم به، وعرف المسند إليه بالموصولية (مَا) في قوله: **(ما نَزَلَ)**؛ للتفخيم والتهويل من شأن الموت، كما أن استعمال اسم الموصول **(ما)** وهي لغير العاقل أغنى التغلبي عن تفصيل ما يحل بالإنسان من سكرات الموت وغيرها.

وكرر حرف **(الباء)** في قوله: **(وَأنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ)** للإلصاق، الذي يفيد التصاق الموت بالإنسان وملازمته له طوال حياته.

ولما كان الغرض من الوصية هو تعليم أبنائه ونصحهم وإرشادهم والترغيب فيما ينفعهم، تنوعت الروابط في بث خبرته لأبنائه، فاستخدم أداة الوصل الفاء، كما استخدم أسلوب الأمر للنصح والإرشاد، والحث على فعل ما يأمرهم به، ولبيان ما مر به في حياته؛ ليسير أبناؤه على نهجه، تآزرت معه الكناية، فقال:**(فاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوْصِيكُم بِهِ)**، فكنى بها عن أهمية الوصية والحرص على تنفيذها والامتثال لأمره، وجاء المفعول به **(ما)** عام وهو لغير العاقل يشترك فيه المفرد والمثنى

والجمع مذكر أو مؤنث في قوله: **(ما أُوصِيكُم بِه)**، للحث على العمل بكل ما جـــاء في وصيته، فهي خلاصة خبرات طويلة عاشها الموصي، فإذا حفظ أبناؤه ما قالـــه لهم وعملوا به فسوف يُرفع شأنهم، كما رفع شأنه من قبل.

المبحث الثاني

داين تدان

وضح الموصي فيه لأبنائه أن ما يفعله الإنسان من خير أو شر يرتد إليه قبل أن يغادر الحياة، فكما تدين تدان، أي: كما يفعل الإنسان يُجازى، فقال: "إِنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إِلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَنْ سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عَن الشَّتمِ؛ فَإِنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم"(١).

شرع التغلبي في هذه الفكرة بذكر النصائح التي يقدمها لأبنائه، فنصحهم بأمور حياتية يجب عليهم أن يعملوا بها حتي لا يحدث لهم ما حدث له من قبل، وهي أن يكفوا عن المعايرة والشتم والسب لغيرهم حتى يسلموا من الأذى، فقال: **(إِنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إِلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَنْ سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عَن الشَّتمِ؛ فَإِنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم)**، وجاءت عباراته مشتملة على مؤكدات وهي، **(إن المشددة، وياء المتكلم في "إني"، والقسم بلفظ الجلالة، وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، وأسلوب الشرط والجزاء)** لتحذيرهم من معايرة الناس لهم، وللتنبيه على أمر خطير لم يحدث من قبل؛ لذا توقع إنكاره عليه، فتكاثرت عناصر التوكيد، كما نكر المفعول **(رَجُلًا)** للعموم.

وجاء أسلوب الشرط مصدرًا بـ **(إِنْ)** التي تأتي مع الفعل المشكوك في وقوعه، ليؤكد على شكه في معايرتهم الناس – سواء أكانوا على حق أم على باطل – إن عيروهم، حتى لا يتعرضوا لمثل هذه المعايرة في وقت ما؛ لذا جاء بـ **(إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا)**؛ لأنه يعلم أن أبناءه ربما يشكون في كلامه، وهو معايرة الناس لهم؛ لعزتهم ومجدهم.

---

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٢.

كما اشتملت هذه الجمل على إيجاز الحذف، فحذف الفاعل في قوله: **(إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ)** وذكر الفعل فقط **(عَيَّرَ)**؛ لأن الغرض من ذلك هو التحذير من اقتراف تلك الصفة الذميمة بغض النظر عمن يفعلها، كما حذف كان واسمها، واكتفى بالخبر، وأصل الكلام: **(إن كان التعيير حقًّا، وإن كان التعيير باطلًا فباطلًا)**.

ثم عقبها بالشرط مصدرًا بـ **(من)**، التي دلت على تهديده لأولاده حتى لا يقترفوا هذا الفعل، وبالتذييل وهو نوع من أنواع الإطناب في قوله: **(وَمَنْ سَبَّ سُبَّ)** لتأكيد كلامه، وهو كما يفعل الإنسان يُجازى، ولا بد أن ينال جزاءه قبل أن يغادر الدنيا.

وحذف الفاعل في قوله: **(وَمَنْ سَبَّ سُبَّ)** وذكر الفعل، كما حذف المفعول أيضًا في هذه الجملة للتعميم مع الاختصار، والامتناع عن أن يقصره السامع على أحد دون الآخر، أي: **(أنه إذا وقع سب منهم لإنسان مهما كانت مكانته يرتد إليهم في أعراضهم)**، وحرص من خلال التأكيد على تثبيت الفكرة في عقول أبنائه.

وقد أشار إلى ذلك المولى –تبارك وتعالى– في قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ القصص: ٨٤

كما أشار إليه الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ – يَعْنُونَ: ابْنَ جَعْفَرٍ –، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْمُتَسَابَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»[1].

وعبر بالأمر في قوله: **(فَكُفُّوا عَنِ الشَّتمِ؛ فَإِنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم)**، وأراد به نصحهم وإرشادهم بأن يكفوا عن الشتم، وأن يبعدوا عن أي فعل ذميم حتى لا ينال

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،ج٤/٢٠٠٠،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

الناس منهم، وجاء بـ **(أفعل التفضيل)** **(أَسْلَمُ)** ليوصي بنيه بضرورة الحفاظ على عرضهم بأن لا يتركوا لأحد مجالًا للنيل منهم، كما أوصاهم بالاعتدال في القول والعمل.

وجاء بالمجاز المرسل لعلاقة الجزئية، حيث عبر بالجزء **(أعرَاضِكم)** وأراد الكل وهو الإنسان، حيث إن سلامة العرض من كل ما يعيبه هي سلامة للإنسان، فإنه يستطيع من خلاله أن ينعم بالشرف والعزة والكرامة ورغد العيش بين الناس.

واستطاع التغلبي من خلال هذه الأساليب أن يسدي النصح لأبنائه بأن يكفوا عن السب حتى يسلم عرضهم من الأذى، ويورثوا الفضائل التي تعينهم على العيش بين الناس.

المبحث الثالث

الحث على التحلي بالأخلاق الحميدة

نصح التغلبي أبناءه بالمحافظة على صلة الرحم، والإحسان إلى الجار، وغض البصر عن كل محرم، كما نصحهم بالشجاعة والقوة، وبين لهم أفضلية الموت في ساحة القتال، فقال: "وَصِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دَارُكُم، وأَكرِمُوا جَارَكُم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُم، وَزَوِّجُوا بناتِ العَمِّ بَنِي العَمِّ، فَإِنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إِلَى الغُربَاءِ فَلاَ تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكفَاءِ، وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأَعَفُّ لِلذَّكَرِ، ومتى كانتِ المُعَايَنَةُ وَاللِقَاءُ فَفِي ذَلك دَاءٌ مِن الأدواءِ، وَلاَ خَيرَ فِيمَن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفسِه، وَقَلَّ مَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةً لِغَيْرِه إِلَا انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ، وامْنَعُوا القَرِيبَ مِن ظُلْمِ الغَرِيبِ، فَإِنَّك تُذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ، ولَا يَحِلُّ بِكَ ذُلٌّ غَرِيْبِكَ، وإِذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقُّكم لِلِّقَاءِ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيرٌ مِن أَلفٍ، وَوَدٍّ خَيرٌ مِن خَلَفٍ، وَإِذَا حُدِّثتُم فَعُوا، وَإِذَا حَدَّثتُم فَأَوجِزُوا، فَإِنَّ معَ الإِكثارِ يَكونُ الإِهذَارُ، وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضنًى آجِلٍ، وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعدَه زَمَانٌ، وَرُبَّمَا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَةً، وَاعلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القَومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ"(١).

شرع الموصي في هذه الفكرة بإسداء النصائح لأبنائه، فنصحهم بالمحافظة على صلة الرحم، والإحسان إلى الجار، والزواج من بعضهم، وإن تزوجوا من غيرهم فلا ينكحوا إلا الأكْفَاء، فقال: **(وَصِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دَارُكُم، وأَكرِمُوا جَارَكُم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُم، وَزَوِّجُوا بناتِ العَمِّ بَنِي العَمِّ، فَإِنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إِلَى الغُربَاءِ فَلاَ تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكْفَاءِ)**، فاعتمد على أسلوب الطلب وما يترتب عليه من نتائج، حيث إن العرب في الجاهلية كانت عندهم جملة من مكارم الأخلاق التي أكد عليها الإسلام وحث عليها، فنصح أبناءه بصلة الرحم التي تجلب الرزق، وإكرام الجار واحترامه

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٢.

كي يحسن ثناؤهم ويعلو ذكرهم، كما أرشدهم إلى الزواج من أقاربهم بأن يزوجوا بنات العم من أبناء العم؛ لتوطيد العلاقات الأسرية بينهم، وإن تزوجوا من الغرباء فلا يتزوجوا إلا الأكْفَاء، فجاء بالشرط مصدرًا بـ (إن)؛ لأنه يشك في مخالفة أولاده لأوامره وعدم تنفيذ وصيته، كما أن الزواج من الغرباء أمر مشكوك فيه، وقلما يحدث بالنسبة لهم؛ لأن العرب كانوا يتزوجون من بعضهم، ولا يتزوجون من الغرباء إلا الأكفاء.

وكرر الضمير المنفصل (هِن) في قوله: **(فَإِنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إِلَى الغُرَبَاءِ فَلاَ تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكفَاءِ)**، ليدل على شدة اهتمامه بالمرأة، وحرصه على تزويجها.

ثم نصحهم بالفصل بين الرجال والنساء، وإبعاد بيوتهم عن بعضها، من أجل الحفاظ عليهم، فاعتمد في ذلك على أسلوب الطلب وما يترتب عليه من نتائج، فقال: **(وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأَعَفُّ لِلذَّكَرِ، ومتى كانتِ المُعَايَنَةُ وَاللقَاءُ فَفِي ذَلك دَاءٌ مِن الأدواءِ، وَلاَ خَيرَ فِيمَن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفسِه، وَقَلَّ مَنْ انْتَهَكَ حُرْمَةً لِغَيْرِه إِلَا انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ)**، وعبر عن ذلك بفعل الأمر الذي أراد به النصح والإرشاد، والتشبيه الضمني الذي شبه من خلاله الفتنة التي تقع بين الرجال والنساء وقت التقائهم واختلاطهم ببعض بالمرض الذي يخالط جسد صاحبه فيهلكه، الغرض منه أن يمتثل بنيه لأمره، ويسيرو على نهجه، بأن يفصلوا بين الرجال والنساء؛ خشية وقوع الفتنة من التقائهم ببعض، وأن من يفعل خلاف ذلك لا خير فيه، وأن من انتهك حرمة غيره تنتهك حرمته.

وأتى بالمجاز المرسل في قوله: **(وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأَعَفُّ لِلذَّكَرِ)**، لعلاقة المحلية، حيث عبر بالمحل وهو **(البيت)** وأراد الحال فيه وهو **(أهله)** نساءً أو رجالًا؛ وذلك لأن الأمر بفعل الشيء مباشرة لم يكن له استجابة وقبول في النفس مثلما يلقى عليها بطريق غير مباشر.

كما عبر بالاستعارة التصريحية التبعية في الفعل **(أبعدوا)**، فقد استعار **(البعد)** للفصل بينهم أي: **(أفصلوا بيوت النساء عن بيوت الرجال)**، وفي الحرف

(من) دون **(عن)** في قوله: **(وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ)**، أي:**(عَــن بُيوتِ الرِجَــالِ)** للدلالة على شدة حرصه على تنفيذ وصيته وهى الفصل بين النساء والرجال لأجل العفة.

ثم أتبعها بـــ **(أفعل التفضيل) (أَغَضُّ، وَأَعَفُّ)**، مما يدل على صدق نصـــحه لأبنائه.

كما نصحهم بمنع القريب من ظلم الغريب، وعبر عن ذلك بالأمر المجـــازي في قوله: **(وامْنَعُوا القَرِيبَ مِن ظُلْمِ الغَرِيبِ، فَإِنَّك تُذلُّ عَلَى قَرِيبِكَ، ولَا يَحُلَّ بِكَ ذُلُّ غَرِيْبِكَ)**؛ ليحثهم على الإنصاف في المعاملة بين القريب والغريب، وإنهم لو حـــدث منهم ذل للقريب خير لهم من أن يذلوا الغريب، وهي كناية عن حسن التعامل مـــع الناس وخاصة الغرباء منهم.

وقد أتى**(الذُلُّ)** بمعنيين: معنى مجازي فـــي **(ذُل القَريـــب)** وهـــو اســـتعارة تصريحية أصلية قصد به اللين والرأفة، ومعنى حقيقي وهو **(ذُل الغَرِيب)** قصد بـــه القهر والغلبة، مما يدل على شدة خوفه على أبنائه.

وبين قوله: **(القَرِيب، والغَرِيب، وقَرِيبِكَ، وغَرِيْبِكَ)** جناس لاحق أضفى على المعنى رونقًا وجمالًا، وطباق إيجاب أكد من خلاله على أن تسود المحبة بينهم، كما حثهم على المساواة في المعاملة بين القريب والغريب.

ولما كان تنازعهم في أخذ الثأر وسماعهم لغيرهم وسماع غيرهم لهـــم أمـــر محقق الوقوع، طلب من بنيه حسن الاستماع لغيرهم، والإيجاز في حديثهم للنـــاس حتى لا يملوا من الاستماع إليهم، فأتى الشرط مصدرًا بـــ **(إِذَا)** فـــي قولـــه: **(وإِذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقُّكم لِلِّقَاءِ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيرٌ مِن ألفٍ، وَوَدٍّ خَيـــرٌ مِـــن خَلَفٍ، وَإِذَا حُدِّثتُم فَعُوا، وَإِذَا حَدَّثتُم فَأوجِزُوا، فَإِنَّ معَ الإكثارِ يَكونُ الإهذَارُ، وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضَنًى آجِلٍ، وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعـــدَه زَمَـــانُ، وَرُبَّمَـــا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَـــةً،**

وَاعلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القَومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ)، للدلالة على أن هذه الأمور واقعة لا محالة.

وفي قوله: **(وإِذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقُّكم لِلِّقَاءِ)**، مجاز مرسل علاقته المسببية، حيث عبر بالمسبب وهو**(نزف الدماء)**، وأراد السبب وهو **(الأخذ بالثأر)**، و**(الدماء)** كناية عن القِصَاصِ، و**(اللقاء)** كناية عن الحرب، وهذا الأسلوب يمزج بين الشدة واللين في توجيهه لبنيه حتى يمتثلوا لما يقول، كما أنه كناية عن حسن الإصغاء لما سيلقى عليهم، والإيجاز في الحديث ليتصفوا بالحكمة، وليحافظوا على هيبتهم بين العرب.

وقوله: **(فَرُبَّ رَجُلٍ خَيرٌ مِن ألفٍ، وَوَدٍّ(١) خَيرٌ مِن خَلَفٍ(٢))**، أي: أنه لو أقدم رجل شجاع على القتال سيكون خير من ألف رجل يتحدثون عن شجاعتهم دون أن يكون لهم أثر يذكر في الحروب، والجملة كناية عن الشجاعة والإقدام في ساحة المعركة.

وقوله: **(وَوَدٍّ خَيرٌ مِن خَلَفٍ)** أي: أن الشخص قد يرزق بصديق مخلص خير له من ولده الذي من صلبه، وعوض عنه، والجملة كناية عن الإخلاص في القول والعمل، وجاء المسند إليه نكر في قوله:**(رَجُلٍ، وَوَدٍّ)** للتقليل، وكان من الممكن أن يعينهما؛ لأن الغرض من ذلك هو الإخبار، ولا يحتاج إلى تعيين المسند إليه، بل يكفي فيه التنكير، وأن يقال رب رجل من الرجال خير من ألف رجل، ورب صديق من الأصدقاء خير من الخلف وهو العوض من الولد وغيره.

واستخدم كلمة **(خَيرٌ)** الدالة على التفضيل، أصلها **(أخير)**، وهذا التفضيل خلاصة تجارب لموصٍ قضى عمرًا طويلًا في الحياة، وجاء التكرار لاسم التفضيل

---

(١) والوُدُّ والوَدُّ والوِدُّ: المَوَدَّةُ، والوَدُّ: الوديد، والوَدودُ: المحبُّ، ورجالٌ وُدَداءُ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ج٥٤٩/٢.

(٢) الخَلَفُ: العِوَضُ والبَدَلُ مِمَّا أُخذ أَو ذهَب. وأَخْلَفَ فُلَانٌ لِنَفْسِهِ إِذَا كَانَ قَدْ ذَهَبَ لَهُ مالُ أو ولدُ فَجَعَلَ مَكَانَهُ آخَ، لسان العرب/ج٨٨/٩.

لتأكيد كلامه، وبالجناس المضارع بين قوله: **(ألفٍ، خَلَفٍ)**، ليرفع من قيمة من يتحدث عنهم، حيث إنه يتحدث عن مصاحبة الرجال الأقوياء، والأصدقاء المخلصين، وقد أكسب الجناس الكلام رونقًا وبهاءً.

وتلا الشرط الفعل المبني للمجهول في قوله: **(وَإِذَا حُدِّثْتُم فَعُوا، وَإِذَا حَدَّثْتُم فَأَوجِزُوا)**، حيث بني الفاعل الأول **(حُدِّثْتُم)** للمجهول؛ لأن الغرض من نصحهم هو التركيز والاهتمام بما يلقى عليهم وبما يقولون، وفي الثاني **(حَدَّثْتُم)** حذف المفعول به للتعميم، فالغرض هو حسن الاستماع والإيجاز في القول، وهذه الأساليب جاءت ملائمة لنصائح الأب.

ولا يغفل ما للجناس المحرف من التناغم الصوتي الناشئ بين الجمل في قوله: **(حُدثتم، وحَدثتم)**، وأيضًا السجع الذي أضفى على الكلام جمالًا ورونقًا، وكان الغرض منه أن تصادف الوصية القبول في نفوس الأبناء؛ ليمتثلوا لها، ويقوموا بتنفيذها.

وأخذ يبرهن على كلامه ويؤكد عليه بالحكم والأمثال في قوله: **(فَإِنَّ مَعَ الإكثارِ يَكونُ الإهذَارُ، وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضَنًى آجِل، وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعدَه زَمَانُ، وَرُبّمَا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَةً، وَاعلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القَومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ)**، فجاء بـ **(إن)** التوكيدية؛ ليؤكد من خلالها مدى خوفه على أبنائه، وحرصه بأن يبتعدوا عن الرديء من الكلام، وأن يتحلوا بالصبر على شدائد الدهر ونوائبه، وأن يتصفوا بالشجاعة والدفاع عن العرض والأرض.

وأيضًا جاء بالتذييل الذي أكد من خلاله على الإيجاز في القول، فمع كثرة الكلام يكثر الخطأ والباطل في قوله: **(فَإِنَّ معَ الإكثارِ يَكونُ الإهذَارُ**[1]**)**.

---

(١) الهَذَرُ: الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ. هَذَرَ كلامُه هَذَرًا: كَثُرَ فِيه الخطأ وَالْبَاطِل. والهَذَرُ: الْكَثِيرُ الرَّدِيءُ، وَقِيلَ: هُوَ سَقَطُ الْكَلَامِ، لسان العرب،ج٥/٢٥٩.

كما أتت المقابلة بين الجملة في قوله: **(وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضَنًى[1] آجِل)**، فضل من خلالها موت الإنسان عزيز في ساحة المعركة من أجل الدفاع عن العرض والأرض على موته في فراشه بسبب مرض لا يرجى بروؤه منه، ويبقى معه طويلًا على قيد الحياة.

تلاها بالمجاز العقلي والقصر بالنفي والاستثناء، كما جاء بالتكرار في قوله: **(وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعدَه زَمَانُ، وَرُبّمَا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَةً)**، حيث أسند الإبكاء والإدهاء إلى الزمان، مجاز عقلي، وكان حق الفعلين أن يسندا إلى الفاعل الحقيقي وهو المولى – عز وجل– ولكنه أسنده إلى الزمان لتعلق الفعل بهما، فتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه، وتعلقه بالفاعل المجازي من حيث وقوعه فيه لعلاقة الزمانية، وذلك للمبالغة في تصوير مدى قدرة الزمان في حصول الفعل حتى صار كأنه الفاعل الحقيقي.

كما أن الغرض من القصر والتكرار المبالغة في تغير الزمان عليه من سيء إلى أسوء، والتأكيد على الصبر وأخذ الحذر والحيطة من تقلبات الدهر، والرضا بالواقع ففيما مضى من عمره قد بكى من زمان ولما مضى ذلك الزمان بكى عليه.

وأيضًا وضح لهم من خلال السجع بين قوله: **(دَهَانِي، شَجَانِي، عَنَانِي)** أن يتقبلوا أحداث الزمان دون البحث عن الأسباب.

كما نصحهم بالشجاعة والقوة وبيان أفضلية الموت في ساحة القتال دفاعًا عن العرض والأرض، **فقال: (وَاعلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القَومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ)**، فعبر بالأمر المجازي وأراد به النصح والإرشاد، والتنبيه لأبنائه كأنهم غافلون عنه، وحثهم على التخلق بصفة الشجاعة.

---

(١) الضَنَى: المرض، وضَنِيَ الرجلُ ضَنَىً شديدًا اذا كان به مَرَضٌ مُخامِرٌ، كلَّما ظنَّ أنَّه بَرأَ نُكِسَ، لسان العرب،ج١٤/٤٨٦.

ثم تلاه بالأسلوب الخبري المشتمل على عدة مؤكدات، وهي(**أَنَّ**، **وأفعل التفضيل**" **أَشْجَعَ**، **وصيغة المبالغة**" **العَطُوفُ**")، أكد عليهم من خلالها حمايتهم للضعفاء، وعطفه عليهم، وتكاثرت هذه المؤكدات لمساعدة الموصي في إخراج ما يجيش في صدره من حب الشجاعة وبيان أفضلية الموت، وأن أشجع القوم هو الذي يدافع عن وطنه، ويفنى من أجله، فالفناء من أجل ذلك هو أشرف أنواع الموت.

وكنى بقوله: **(تحَتَ ظِلال السيوفِ)** عن الموت في الحرب والدفاع عن العرض والأرض، وأضفى السجع الناشئ بين لفظي: **(عَطُوف، وَسِيوف)** على الكلام رونقًا وجمالًا، كما وضح من خلاله الموصي وجوب التحلي بصفة الشجاعة والدفاع عن الضعفاء.

المبحث الرابع

أخذ الحذر والحيطة في كل الأمور

حث الموصي أبناءه على إمساك النفس عند الغضب، ولين الجانب عند المعاتبة، وقطع الأمل في بقاء العلاقات، فدوام الحال من المحال، فقال: "ولَا خَيرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِندَ الغَضَبِ، ولَا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ، ومِن الناسِ مَن لَا يُرْجَى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ، ولَا تُبَرِّحُوا فِي حُبِّكُم، فَإِنَّه مَن بَرَّحَ فِي حُبٍّ آلَ ذَلِكَ إِلَى قَبيحِ بُغْضٍ، وَكَمْ قَد زَارَنِي إنسَانٌ وَزُرْتُه، فَانقَلَبَ الدَّهرُ بِنَا فُبُرْتُهُ، واعلَمُوا أَنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وَأَنَّ السَيفَ كَلِيمٌ، إِنِّي لَم أَمُتْ، ولَكِن هَرِمْتُ، وَدَخَلَتنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ، سَلَّمَكُم رَبُّكُم وَحيَّاكُم"[1].

نصح التغلبي أبناءه في هذه الفكرة بإمساك النفس عند الغضب، ولين الجانب عند المعاتبة، وقطع الأمل في بقاء العلاقات، فدوام الحال من المحال، فقال: **(ولَا خَيرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِندَ الغَضَبِ، ولَا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ، ومِن الناسِ مَن لَا يُرْجَى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ)**، وصدر كلامه بأسلوب خبري تمثل في النفي الذي قصد به التحذير ونفي الخيرية عمن لا يتحكم في نفسه عند الغضب، ولا يلين في عتابه عند المعاتبة؛ لأن من يتصف بهذه الصفات لا خير فيه، وكنى بذلك عن صفة الحلم ، وهذا المعنى وجد في الحديث الشريف، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ**

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الباب الأول: الخطب والوصايا في العصر الجاهلي، المؤلف: أحمد زكي صفوت،ج١/١٢١:١٢٢، الناشر: المكتبة العلمية بيروت- لبنان.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"(١).

وعبر بالشرط وجوابه باستخدام **(إذا)** الدالة على تحقق المعاتبة لبعضهم، وبنى الفعل للمجهول **(عُوتِب، ويُرجى، ويُخاف) في قوله: (ولَا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ، ومِن الناسِ مَن لَا يُرْجَى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ)**، وهذه الجمل كناية عن صفة السلبية، الغرض منها هو اللين لبعضهم عند المعاتبة، والتسامح فيما بينهم بغض النظر عمن أحسن وعمن أساء.

كما وضح أن هناك نوعًا من الناس لا خير فيهم لأحد، يجب أخذ الحذر منهم، فأتى بـ **(من)** التبعيضية في قوله: **(ومِن الناسِ مَن لَا يُرْجَى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ)**، وفيه إيجاز بحذف الفاعل أي: **(ومنهم من لا يخاف شره)**؛ لأن الغرض من الحذف هو الحذر منه.

وهذا الصنف من الناس يُفضل أن يُبتعد عنه ويقلل من التواصل معه، وعبر عن هذا بقوله: **(فَبَكْؤُهُ**(٢) **خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ)**، فاستعمل كلمة **(خيرُ)** الدالة على التفضيل، وهذا القول هو خلاصة تجارب لموصٍ قضى عمرًا طويلًا في الحياة؛ لذا حذرهم من وصل من لا خير فيه، وكرر اسم التفضيل لتأكيد

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، /ج٨/٢٨،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،ج٤/٢٠٢٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) بكأ: بَكَأَتِ الناقةُ والشاةُ تَبْكَأُ بَكْأً وبَكُؤَتْ تَبْكُؤُ بَكاءَةً وبُكُوءًا، وَهِيَ بَكِيءٌ وبَكِيئَةٌ: قَلَّ لبنُها؛ وَقِيلَ انْقَطَعَ، وَفِي رِوَايَةٍ:نحنُ مَعاشِرَ الأَنبياء فِينَا بُكْءٌ وبُكاءٌ: أَي قِلَّة كلامٍ إِلَّا فِيمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، لسان العرب،ج١/٣٤،٣٥.

كلامه، وليقلل من قيمة من يتحدث عنه، حيث إنه يتحدث عن قطع من لا خير فيه؛ لاتصافه بصفات ذميمة.

وقد كان للمحسنات البديعية المعنوية واللفظية أثر في تحسين الصورة البيانية، فكلها جاءت لخدمة المعنى وتوضيح الفكرة، كالمقابلة بين الجملتين؛ لأن الرجاء فيه طلب، وفي الخوف امتناع، كما وضح من خلالها أن قطع من لا يرجى خيره ولا يخاف شره أفضل من صلته والتعامل معه إذ لا فائدة في القرب منه، وكالجناس والسجع المتعدد داخل السجعة الواحدة في قوله: **(ومِن الناسِ مَن لَا يُرْجَى خَيْرُه، ولَا يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيرُ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ)**، وهذا ما يسمى بالازدواج[1]، وقال عنه أبو هلال العسكري: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا، ولا تكاد تجد لبليغ كلامًا لا يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق"[2].

ثم حذرهم من التعمق في العلاقات، فبعد الحب يكون البغض، فقال: **(ولَا تُبَرِّحُوا فِي حُبِّكُم، فَإِنَّه مَن بَرَّحَ فِي حُبٍّ آلَ ذَلِكَ إِلَى قَبِيحِ بُغْضٍ)**، وعبر عن ذلك بأسلوب النهي المجازي المراد به التحذير، وبالشرط وجوابه باستخدام **(إن)** وبالصفة المشبهة التي تدل على الثبوت **(قَبِيحُ)**.

وكنى بها عن تغير الأحوال وتقلبها، ، والطباق بين **(حُبٍّ، وبُغْضٍ)**؛ جاء لخدمة المعنى، وهذه الأساليب تحثهم على أخذ الحذر والحيطة في كل الأمور من

---

(1) **الازدواج هو: أن يكون المتكلم بعد رعاية الأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والروي. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازي ص٧٠ ط١، ٢٠٠٤م.**

(2) **الصناعتين في الكتابة والشعر لأبى هلال الحسن بن عبدالله العسكري ت: مفيد قمحة، ص٢٨٥، ط٢، ١٩٨٩م لبنان.**

الإفراط في الحب والتعمق في العلاقات، فنتيجة ذلك غير مرضية حيث ينتهي بهم إلى مآل سيء.

ثم أتبع هذه الأساليب بـ **(كم)** الخبرية التي تفيد التكثير، و**(قد)** التي تفيد التحقيق بدخولها على الفعل الماضي، وبالتذييل في قوله: **(وَكَمْ قَد زَارَنِي إنسَانٌ وَزُرْتُه، فَانقَلَبَ الدَّهرُ بِنَا فُبُرْتُهُ)**؛ ليؤكد على ما وصاهم به، وما حذرهم منه وهو التعمق في الحب، فأتى ببراهين من حياته، فكثير من العلاقات بينه وبين الناس قد تلاشت بسبب أحداث الدهر وتقلباته.

ثم ختم وصيته بالتحلي بالحكمة، فهي سبيل السلامة من كل ما حذرهم منه، وتذكير أبنائه بما بدأ به وصيته وهو كبر السن، ثم الدعاء لهم بالسلامة من كل مكروه، ولن يتحقق لهم ذلك إلا إذا التزموا بوصيته، ونفذوا كل ما وصاهم به حتى ينالوا السيادة والشرف، فقال: **(واعلَمُوا أَنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وَأَنَّ السَيفَ كَلِيمٌ، إِنِّي لَم أَمُتْ، وَلَكِن هَرِمْتُ، وَدَخَلَتنِي ذِلَّة فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ**[1]**، سَلَّمَكُم رَبُّكُم وَحيَّاكُم)**، فصدر كلامه بالأمر المجازي، وعمد إلى تكرار(أَنَّ)، وأتى بالقصر بالنفي والاستثناء، والذي نفى من خلاله عن نفسه الموت، وأثبت كبر سنه.

كما أتى بالاستعارة المكنية في قوله: **(وَدَخَلَتنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ)**، حيث شبه الذلة المعنوية بإنسان يدخل في مكان ويقيم به، فالذلة أشد ما ينزل بالناس، وبلاء لمن كان يتمتع بالعزة والكرامة.

وبالمجاز المرسل لعلاقة الجزئية في لفظ **(القلب)** حيث عبر بالجزء وأراد الكل وهو الجسد كله في قوله: **(وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ)**، والجمل فيها تفصيل بعد إجمال، وتذييل أتى بهما الموصي لتأكيد وتقرير حقائق لا جدال فيها، وهو أن التحلي بالحكمة سبيل الفوز والنجاة، ولبيان أنه ما زال على قيد الحياة، لكنه أشرف

---

(١) الهُتْرُ، بِضَمِّ الْهَاءِ: ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنْ كِبَرٍ أَو مَرَضٍ أَو حُزْنٍ. والمُهْتَرُ: الَّذِي فَقَدَ عقلَه مِنْ أَحد هَذِهِ الأَشياء، وَقَدْ أَهْتَرَ، نادرٌ. وَقَدْ قَالُوا: أَهْتَرَ وأُهْتِرَ الرجلُ، فَهُوَ مُهْتَرٌ إِذا فَقَدَ عقلَهُ مِنَ الكِبَرِ، السابق،ج٥/٢٤٩.

على الموت، وأصابه ضعف في العقل، وذلة في النفس.

ولا يغفل ما للجناس اللاحق بين قوله: **(سَلِيم، وكَلِيم)** والسجع الناشئ من تواطؤ فواصل الجمل على حرف واحد؛ حتى يستميل أبناءه إلى سماع نصيحته وقبولها بصدر رحب.

ثم ختم وصيته بجملة دعائية خبرية لفظًا، إنشائية معنى، توحي بمدى حبه لأبنائه وخوفه عليهم فقال: **(سَلَّمَكُم رَبُّكُم وحيَّاكُم)**، فدعا من خلالها لهم بالسلامة من كل شر، وأن يحيوا في حفظ الله ورعايته، وهذا ما دل عليه تشديد الفعل **(سَلَّمكُم)** الذي أوحى بكثرة دعائه لأولاده.

الفصل الثاني

وصية الحارث بن كعب دراسة بلاغية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تجارب حياتية

كشف الموصي لأبنائه عمّا مر به من تجارب حياتية، وأثر هذه التجارب عليه، وما حصل عليه من الخبرة: "يا بَنِيَّ، قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً، مَا صَافَحَتْ يَميني يمينَ غادرٍ، ولا قَنِعْتُ لنفسي بِخُلَّةِ فَاجِرٍ، ولاَ صَبَوْتُ بابنةِ عَمٍّ ولاَ كَنَّةٍ، ولاَ بُحْتُ لِصديقٍ بِسِرٍّ، ولاَ طَرَحْتُ عَنْ مُومِسَةٍ قِنَاعًا، ولاَ بَقِي عَلَى دينِ عيسى بنِ مريمَ –وروي: على دين شعيب– من العربِ غيري وغيرَ تميمِ بنِ مُرَّةَ، وأَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، فَموتُوا عَلَى شَرِيعَتِي، واحْفَظُوا وَصِيَّتِي"(١).

افتتحت الوصية بمقدمة قائمة على الحجة هدفها الإقناع والتأثير؛ لبث تجربته الحياتية لأولاده ليستفيدوا منها، فقال:(**يا بَنِيَّ، قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً**)، واستهل وصيته بأسلوب إنشائي تمثل في النداء بأداة النداء **(يا)** في قوله: **(يَا بَنِيَّ)** وهي لنداء البعيد ونادى بها القريب مع أنهم أمامه، للتقدير وليبين رفعة شأن الأبناء لدى أبيهم، وما يفوزوا به إذا امتثلوا لأمره ونفذوا وصيته، وأيضًا للتنبيه كأنهم غافلون عنه، وأيضًا لاستمالتهم إلى الإصغاء لما سيلقى عليهم، فإذا ما أصغوا إليه استقر المعنى في النفس، وثبت في القلب، ثم أتبع النداء بالتصغير **(بَنِيَّ)**؛ لتدليل أبنائه.

وعمد إلى تقرير الحقائق وتوكيدها من خلال الأسلوب الخبري الإنكاري المؤكد بـ **(ياء المتكلم، قد والفعل الماضي)** الذي يدل على التحقيق بدخولها عليه في قوله: **(يا بَنِيَّ، قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً)**، فقد أكد لهم معنى لا ينكره أحد، وهو أنه قد بلغ أرذل العمر، ودنا أجله مع أن أبناءه لا ينكرون ذلك عليه؛

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٣.

لأنهما ماثلين أمامهم؛ وذلك لبث الطمأنينة في نفوس أبنائهم، وحثهم على العمل بما جاء في الوصية من توجيه وإرشاد.

وحدد ابن كعب العمر الذي بلغه في قوله: **(يا بَنِيَّ، قَـد أَتَـتْ عَلَـيَّ مائـةٌ وستونَ سنةً)**، فكنى بذلك عن الضعف، وما آل إليه من الكبر.

وشرع الموصي في بث تجربته الحياتية لأبنائه، ونفى فيها عن نفسه اقتراف أي فعل ذميم ، فاستخدام في التعبير عن ذلك الكناية والاستعارة التصريحية التبعية والقصر بالنفي والاستثناء، **فقال: (مَا صَافَحَتْ يَميني يمينَ غادرٍ، ولا قَنِعْتُ لنفسي بِخُلَّةِ فَاجِرٍ، ولاَ صَبَوْتُ بابنةِ عَمٍّ ولاَ كَنَّةٍ[1]، ولاَ بُحْتُ لِصديقٍ بِسِرٍّ، ولاَ طَرَحْتُ عَنْ مُومِسَةٍ[2] قِنَاعًا، ولاَ بَقِي عَلَى دينِ عيسى بنِ مريمَ -وروي: على دين شعيب- من العربِ غيري وغيرَ تميمِ بنِ مُرَّةَ، وأَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ)**، فكنى بذلك عن وفائه بالعهد، وعدم مصافحة الغادر، وعدم مصاحبة الفجرة، وعدم خيانته لأبنائه وإخوته بالصبوة بنسائهم، وعن كتم أسراره واحتفاظه بها لنفسه، وعن عدم الوقوع في الفاحشة، وعن موته على الإسلام.

وأما الاستعارة التصريحية التبعية فقد جاءت في لفظ **(طرحت)**، حيث استعار الطرح لرمي الشيء وإلقاءه أرضًا، فشبه رميه للمرأة الفاجرة وإلقاءها أرضًا بالشيء الذي يرمى ويلقى به على الأرض لخسته، بجامع الإلقاء والخسة في كل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، الغرض منها بيان مدى عفته وطهارته والتزامه بالأخلاق الحميدة.

---

(١) الكَنَّةُ، بِالْفَتْحِ: امرأَة الِابْنِ أَو الأَخ، وَالْجَمْعُ كَنائِنُ، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى،/ج١٣/٣٦٢، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر - بيروت.

(٢) المومسة: من ماسَ يَمِيسُ مَيْسًا إِذا تَبَخْتَرَ فِي مَشْيِه وتَثَنَّى. وامرأَة مُومِس ومُومِسَة: فاجِرَةٌ جِهارًا، المصدر السابق،/ج٦/٢٢٤.

ولما كان الغرض من الوصية هو تعليم أبنائه ونصحهم وإرشادهم والترغيب فيما ينفعهم، تنوعت الروابط في بث خبرته لأبنائه، وذلك مثل تكرار فعل الأمر، واستعمال الفاء والواو الدالتان على الوصل في قوله: **(فَموتُوا عَلَى شَرِيعَتِي، واحْفَظُوا وَصَيَّتِي)**، وجاء الأمر للنصح والإرشاد، والحث على فعل ما يأمرهم به، ولبيان ما مر به في حياته؛ ليسير أبناؤه على نهجه.

تآزرت معه الكناية، فكنى بها عن أهمية الوصية والحرص على تنفيذها والعمل بكل ما جاء فيه، فهي خلاصة خبرات طويلة عاشها الموصي، فإذا حفظ أبناؤه ما قاله لهم وعملوا به فسوف يُرفع شأنهم كما رفع شأنه من قبل.

المبحث الثاني : الحث على تقوى الله، والتحذير من معصيته

نصح الحارث بن كعب أبناءه بتقوى الله، وحذرهم من معصيته، فقال: "وإلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ"(١).

شرع الموصي في هذه الفكرة بذكر النصائح التي يقدمها لأبنائه، ويجب العمل بمقتضاها، فنصحهم بتقوى الله ولزوم طاعته ليصلح حالهم، وحذرهم من معصيته حتى لا يحل بهم الدمار، وتوحش منهم الديار، واستخدم في التعبير عن ذلك القصر بطريق التقديم، فقدم متعلقات الفعل عليه، كما عبر بفعل الأمر للترغيب وعبر بأسلوب التحذير للترهيب، فقال: **(وإلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ)**، حيث قدم المفعول **(إلَهَكُم)**على الفعل **(فاتَّقُوا)**؛ للاختصاص، أي: اختصاص المولى –عز وجل– بالتقوى وبالخشية في السر والعلن؛ ليكفيهم ما أهمهم ويصلح أحوالهم.

ثم حذرهم من معصيته –سبحانه –، فقال: **(وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ)**؛ للتحذير من خطورة معصيته، فهي أساس الدمار ووحشة الديار؛ وليتجنبوا ما يكدر صفو حياتهم، وقد جنح في ذلك إلى التقديم والتأخير **(وَيُصلِحْ لَكُم حَالَكُم، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ)**، فقدم الجار والمجرور في الجملة الأولى على المفعول، وفي الجملة الثانية والثالثة قدم الجار والمجرور على الفاعل، والأصل فيها **(يُصلِحْ حَالَكُم لَكُم، فَيَحِلَّ الدَّمَارُ بِكُم، وتُوحِشَ الدِّيارُ مِنكُم)** لخدمة المعنى.

وجاء أيضًا بالمقابلة بين الجمل في قوله: **(وإلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ)**، وبالسجع، والجناس اللاحق بين قوله: **(الدَّمارُ، والدِّيَارُ)** ، والتي ينصح فيها بتقوى الله، ويحذر من معصيته ومخالفة أمره، وعدم اجتناب نواهيه ليبين لهم عاقبة التقوى، وجزاء المعصية.

---

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٢.

المبحث الثالث

التحلي بالأخلاق الحميدة، وقطع الأمل في بقاء العلاقات

نصح ابن كعب بنيه بالتحلي بالأخلاق الحميدة، والاتحاد والتماسك، وكيفية التعامل مع الناس، كما نصحهم بقطع الأمل في بقاء العلاقات، فقال: "كُونُوا جميعًا، ولَا تَفَرَّقُوا فتكونوا شِيَعًا، وبُزُّوا قَبلَ أَنْ تُبَزُّوا، فَمَوتٌ فِي عِزٍّ خيرٌ مِن حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ، وكلُّ ما هو كائنٌ كَائنٌ، وكُلُّ جَمْعٍ إِلَى تَبَايُنٍ، وَالدَّهرُ ضَرْبَانِ، ضَربٌ بَلَاءٍ، وَضَربٌ رَخَاءٍ، واليومُ يَومَانِ، يَومُ حَبْرَةٍ، ويومُ عِبرَةٍ، والناسُ رَجُلَانِ، رَجلٌ لَكَ، وَرجُلٌ عَليك، زَوِّجُوا النِّساءَ الأكفاءَ، وإِلَا فَانتَظِروا بِهنَّ القَضَاءَ، ولْيكُنْ أَطيبُ طِيبِهِنَّ المَاءَ، وَإِيَّاكُم والوَرْهَاءَ؛ فَإِنَّها أَدْوُأُ الدَّاءِ، وإِنَّ وَلدَهَا إِلى أَفَنٍ يَكونُ، لَا رَاحةَ لِقَاطِعِ القَرَابَةِ، وَإِذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم، وَآفَةُ العَدُوِّ اخْتِلَافُ الكلمةِ، وَالتَّفَضُّلُ بِالحَسَنةِ يَقِي السَيئةَ، والمُكَافأةُ بالسيئةِ دُخولٌ فِيهَا، وَعَملُ السُّوءِ يُزِيلُ النِّعْمَاءِ، وقَطِيعةُ الرَّحمِ تُورِثُ الهَمَّ، وانتهاكُ الحُرمَةِ يُزِيلُ النِّعْمَةِ، وَعُقُوقُ الوالدينِ يُعْقِبُ النَّكَدَ، ويُخْرِبَ البَلَدَ، ويَمحَقُ العَدَدَ، والإسرافُ فِي النَّصيحةِ هو الفَضِيحةُ، وَالحِقْدُ يَمنعُ الرِّفْدَ، ولُزومُ الخَطِيئةِ يُعْقِبُ البَلِيَّةَ، وسوءُ الرَّعيةِ يَقْطَعُ أسبابَ المَنفعَةِ، والضَّغَائنُ تدعو إلى التَّبَاينِ، يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وكَأَنِّي بهم قَد لَحِقْتُ"(١).

شرع الموصي في هذه الفكرة بإسداء النصائح لأبنائه، فنصحهم بالتماسك والاتحاد، حتى لا يتفرقوا، كما نصحهم بكيفية التعامل مع الناس وقطع الأمل في بقاء العلاقات، فدوام الحال من المحال، وعبر عن ذلك بفعل الأمر في قوله: **(كُونُوا جميعًا، ولَا تَفَرَّقُوا فتكونوا شِيَعًا، وبُزُّوا قَبلَ أَنْ تُبَزُّوا(٢)، فَمَوتٌ فِي عِزٍّ خيرٌ مِن**

---

(١) جمهرة خطب العرب،ج١/١٢١:١٢٢.

(٢) البَزُّ: السَّلْبُ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ: مَنْ عَزَّ بَزَّ؛ مَعْنَاهُ مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَالِاسْمُ البِزِّيزَى كالخِصِّيصَى وهو السَّلْبُ. وابْتَزَزْتُ الشيءَ: اسْتَلَبْتُه. وبَزَّهُ يَبُزُّهُ بَزًّا: غَلَبَهُ وَغَصَبَهُ. وبَزَّ الشيءَ يَبُزُّ بَزًّا: انْتَزَعَهُ، لسان العرب/ج٥/٣١٢.

حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ)، فنصحهم بالاعتصام والاتحاد، والدفاع عن النفس خشية الهلاك، وهذا مقصد ديني أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ **آل عمران: ١٠٣**

ولا يغفل ما لجناس الاشتقاق من التناغم الصوتي الناشئ بين الجمل في قوله: **(بُزُّوا، تُبَزُّوا)**، والذي أضفى على الكلام جمالًا ورونقًا، وكان الغرض منه أن يتمتعوا بالقوة والمنعة بين العرب، وأن ينتصروا على أعدائهم ويسلبوا كل ما معهم قبل أن ينتصروا عليهم، فجناس الاشتقاق " يحدث تشابهًا في جرس الكلمتين، وهو يدفع الذهن لا محالة إلى التماس تشابه بين معنى الكلمتين، لا بل يوجد في الذهن نوعًا من التشابه الرمزي بين معنى الكلمتين، وهذا التشابه يقوي الانسجام بين معنى البيت كله ورنته كله"(١).

ثم أتى بالتذييل والمقابلة بين الجملتين في قوله: **(فَمَوتٌ فِي عِزٍّ خيرٌ مِن حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ)**، ليؤكد ويوضح من خلالهما أنه يجب على الإنسان أن يدافع عن نفسه حتى وإن كلفه ذلك أن يموت من أجلها، فموته عزيزًا قويًّا خير له من أن يحيا ذليلًا عاجزًا.

واستعمل كلمة **(خَيرٌ)** الدالة على التفضيل أصلها **(أخير)**، وهذا التفضيل خلاصة تجارب لموصٍ قضى عمرًا طويلًا في الحياة؛ لتأكيد كلامه، وليبين قيمة الموت من أجل العزة والكرامة والسيادة والشرف.

كما أتى بالتوشيع وهو نوع من أنواع الإطناب في قوله: **(وَالدَّهرُ ضَرْبَانِ، ضَربُ بَلَاءٍ، وَضَربُ رَخَاءٍ، واليومُ يَومَانِ، يَومُ حَبْرَةٍ، ويومُ عِبرَةٍ، والنَاسُ رَجُلَانِ، رَجلُ لَكَ، وَرجُلُ عَلَيك)**، فوضح من خلاله أنه يجب عليهم أخذ الحذر من تقلبات الدهر والأيام ففيها الشدة والرخاء، ومنها العظة والعبرة، كما نصحهم بالحيطة في التعامل مع الناس فمنهم من معك ومنهم من عليك.

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د عبد الله الطيب/ج٢/٦٦٢، ط١ ١٩٥٥م دار الفكر القاهرة.

وأيضًا نصحهم بزواج الأَكْفَاء، فعبر عن ذلك بالأمر المجازي، فقال: **(زَوِّجُوا النِّساءَ الأكْفَاءَ، وإلَّا فَانتَظِروا بِهنَّ القَضَاءَ، ولْيكُنْ أَطيبُ طِيبِهِنَّ المَاءَ)** لتوجيههم وإرشادهم إلى ما فيه خير لهم وهو الزواج من الأكفاء الذي جعله الفقهاء شرطًا في الزواج، كما حث من خلاله المرأة على النظافة والتطيب بالماء، وهذا كناية عن التشدد في منعهن من الزواج إذا لم تصادف كفئًا وحبسهن حتى الموت.

ثم حذرهم من زواج الحمقاء الكثيرة الشحم الذي هو أشد أنواع المرض، وربما يتخلل ذلك إلى ولدها في أحشائها فيسرع إلى موته، وعبر عن ذلك بالأسلوب الخبري الذي تكاثرت فيه المؤكدات، وقصد به التحذير من مخالفة ما وصاهم به في قوله: **(وَإيَّاكُم والورْهَاءَ[1]؛ فَإنَّها أَدْوُأُ الدَّاءِ، وإنَّ وَلدَهَا إلى أَفَنٍ يكونُ، لَا رَاحةَ لِقَاطِعِ القَرَابَةِ)**، فعرف المسند إليه **(الورهاء)** بلام العهد؛ للإشارة إلى معهود بين المتكلم والمخاطب، وجاء بالمقابلة بين الجمل؛ للترغيب في زواج المرأة من الرجل الكفء لها، والترهيب من زواج الرجل من المرأة الحمقاء الكثيرة الشحم.

ثم نفي الراحة في قطع الأقارب في قوله: **(لَا رَاحةَ لِقَاطِعِ القَرَابَةِ)**، فعبر بالأسلوب الخبري المتمثل في نفي الراحة عنهم؛ لأن هذه القطيعة تؤدي إلى اختلافهم وإذا اختلفوا مكنوا عدوهم منهم؛ لذا نصح الموصي أبناءه باتفاق رأيهم، واتحاد كلمتهم حتى لا يمكنوا منهم عدوهم، فقال: **(وَإذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم، وَآفَةُ العَدُوِّ اخْتِلَافُ الكلمةِ)**، فأتى بالشرط مصدرًا بـ **(إذَا)** التي تفيد الجزم بوقوع الفعل في قوله: **(وَإذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم)** للدلالة على أن اختلاف القوم أمر واقع لا محالة، ثم جاء بالتذييل ليؤكد على اتحاد كلمتهم كي لا ينال عدوهم منهم في قوله:**(وَآفَةُ العَدُوِّ اخْتِلَافُ الكلمةِ)**.

كما نصح أبناءه بالمعاملة الحسنة والعمل الصالح، وصلة الرحم، وعدم انتهاك الحرمات، وعدم عقوق الوالدين، وأن من يفعل خلاف هذه الصفات لا يجنى

---

(١) الوَرَهُ: الحُمْقُ فِي كُلِّ عَمَلٍ، الوَرِهَةُ الكثيرةُ الشحمِ، والوَرَهَةُ: المرأَة الْحَمْقَاءُ، لسان العرب ،ج١٣/٥٦٠،٥٦١.

من ورائها إلا الفقر والهم، فقال: **(وَالتَّفَضُّلُ بِالحَسَنَةِ يَقِي السَيئةَ، والمُكَافأةُ بالسيئةِ دُخولُ فِيهَا، وَعَملُ السُّوءِ يُزِيلُ النَّعْمَاءِ، وقَطِعيةُ الرَّحمِ تُورْثُ الهَمَّ، وانتهاكُ الحُرمَةِ يُزِيلُ النِّعْمَةِ، وَعُقُوقُ الوالدينِ يُعْقِبُ النَّكَدَ، ويُخْرِبَ البَلَدَ، ويَمحَقُ العَدَدَ، والإسرافُ فِي النَّصيحةِ هو الفَضِيحةُ، وَالحِقْدُ يَمنعُ الرِّفْدَ، وَلُزومُ الخَطِيئةِ يُعْقِبُ البَلِيَّةَ، وسوءُ الرِّعَيةِ يَقْطَعُ أسبابِ المَنفَعَةِ، والضَّغَائِنُ تدعو إلى التَّبَاينِ)**، وعبر عن ذلك بالأسلوب الخبري الذي قصد به التحذير من مخالفة ما وصاهم به، فعرف المسند إليه بلام الجنس أو لام الحقيقة؛ للإشارة إلى حقيقة الحسنة والسيئة نفسها دون النظر إلى ما ينطوي تحتها من أفراد أو ما تنطبق عليه في قوله: **(وَالتَّفَضُّلُ بِالحَسَنَةِ يَقِي السَيئةَ، والمُكَافأةُ بالسيئةِ دُخولُ فِيهَا)**.

تآزرت معه الاستعارة المكنية، فقد شبه الشيء المعنوي بالشيء الحسي، فشبه الهم بالمال الذي يخلفه الوارث لورثته بعد وفاته، كما شبه العقوق والحقد والضغائن بإنسان يجلب النكد ويخرب ويمحق كل ما حوله ويدعو إلى البعد والتفرقة، الغرض منها الترغيب في العمل الصالح، والتنفير من العمل السيء الذي لا يجني صاحبه من ورائه إلا العناء والمشقة ويتوارثها نسله من بعده.

كما تآزرت معه الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: **(والإسرافُ فِي النَّصيحةِ هو الفَضِيحةُ، وانتهاكُ الحُرمَةِ يُزِيلُ النِّعْمَةِ)** فاستعار **(الإسراف)** للإفراط في إسداء النصيحة، وهي أمر معنوي شبهها بأكل أو شرب أو مال أفرط في تناوله واستخدامه، **واستعار(الهتك)** وهو يطلق على خرق الستر عما وراءه، لخرق الحرمة وهي أمر معنوي، وتناولها بكل ما يعيبها، فشبهها بشيء محسوس يمكن خرقه لكشف ما وراءه.

والاستعارات بالغت في التنفير من قطيعة الرحم التي تورث الهم مدى الحياة، وكأنه مال يتوارثه الأجيال جيل بعد جيل، كما بالغت في التنفير من الإسراف في النصيحة سواء طلبت أم لا، ونفرت من انتهاك محارم الشرع وإتيانها كفعل الفاحشة والنظر إلى ما حرم الله، وغيرها من المحرمات التي تمحو النعم وتجلب النقم، كما

استعان في رسم صورته بالكناية عن صفة، فكنى بها عن تناول الحرمة بما لا يحل.

وأتت المقابلة بين الجمل لتوضح أن المعاملة الحسنة تقي الفتن وسوء القضاء، فهي أفضل من المعاملة السيئة التي لا يجني صاحبها من ورائها إلا التعب والمشقة، وأن العمل السيء يمحق العمل الصالح، وقطيعة الرحم تورث الهم، وانتهاك حرمة الغير تمحو النعمة، وعقوق الآباء يعقبه الحسرة والندم، والإسراف في إسداء النصيحة يعد فضيحة، وخاصة على مرأى ومسمع من الجميع لمن تسدى إليه، والحقد يمنع الخير، وملازمة المعصية تجلب المصيبة والنكبة، والضغائن تسبب الفرقة بين الناس، وهذا الأسلوب يمزج بين الشدة واللين في توجيهه لأبنائه؛ حتى يمتثلوا ما يسدى إليهم من نصح وتحذير.

ثم ختم وصيته بنداء أبنائه فقال: **(يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وَكَأَنِّي بهم قَد لَحِقْتُ)**، بأداة النداء **(يا)** وهي لنداء البعيد ونادى بها القريب مع أنهم أمامه؛ وذلك لاستمالتهم إلى الإصغاء لما سيلقى عليهم وهو التحذير من الإفراط في الحب، ثم تبع النداء بالتصغير **(بَنِيَّ)** لتدليل أبنائهم.

وعمد إلى تقرير الحقائق وتوكيدها من خلال الأسلوب الخبري المؤكد بـ **(إن، وياء المتكلم، قد، والفعل الماضي)**؛ وذلك لبث الطمأنينة في نفوس أبنائه نحو ما يلقى عليهم من توجيهات وإرشادات حياتية للعمل بها، وفي قوله: **(فَذهَبُوا وغَبَرتُ)**، استعارة مكنية؛ إذ شبه الموصي الأقوام

ونفسه بالشيء الذي يذهب بعضه ويبقى آخر، الغرض من الاستعارة أخذ العبرة والعظة منه، فقد فني أقوام وعمر غيرهم، وكنى بذلك عن الضعف وما آل إليه من الكبر.

وجاء البديع لخدمة المعنى، ففي قوله: **(أَكَلتُ، وَشَرِبْتُ)** مراعاة نظير، وقوله: **(فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ)** طباق، فالذهاب معناه الرحيل، والغبر البقاء، الغرض منه التفكر في خلق الله، وما يجري عليهم من تدابير المولى –عز وجل–.

الفصل الثالث

الموازنة بين الوصيتين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الخصائص الفنية للوصيتين:

– **المضمون:** فمضمون الوصيتين واحد، وهو إسداء الموصيين نصائح لأبنائهما من خلال تجاربهما الحياتية وبيان أثر هذه التجارب عليهما، وحثهما على الفضائل والتخلي عن الرذائل.

وقد اشتملت الوصيتان على مقدمة، وموضوع، وخاتمة:

أولًا: المقدمة:

أما المقدمة عند التغلبي من قوله: **(يَا بَنِيَّ، إنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِلٍ، وَأَنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِي مَا أُوْصِيكُم بِهِ)**.

والمقدمة عند ابن كعب من قوله: **(يا بَنِيَّ، قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً، مَا صَافَحَتْ يَميني يمينَ غادرٍ....، فَموتُوا عَلَى شَرِيعَتِي، واحْفَظُوا وَصَيَّتِي)**.

تعقيب

من خلال ما سبق، تبين أنهما قد بدأ الوصية بأسلوب إنشائي، تمثل في ندائهما لأبنائهما، وأتبعاه بالأسلوب الخبري المؤكد، أكدا من خلاله لأبنائهما أنه قد كبُر سنهما، ودنا أجلهما، ولم يحدد ابن كلثوم العمر الذي بلغه، وإنما أخبرهم بأن الموت بلغه كما بلغ آبائه وأجداده، بينما حدد ابن كعب عمره.

وقد أطنب التغلبي في المقدمة، فقد تكررت المعاني فيها أثناء حديثه عن دنو أجله، فمعنى قوله: **(إنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي)**، هو نفس معنى قوله: **(وَلَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِلٍ)**، وهو أيضًا نفس معنى قوله: **(وَأَنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ)**، ولعله أراد بذلك أن يستميلهم

للإصغاء إليه، والعمل بما سيلقى عليهم.

بينما أرى أن ابن كعب وإن كان قد أطال في مقدمته إلا أنه قد عبر فيها عن معاني كثيرة منها: بث تجربته في الحياة لأبنائه، وتحديد سنه، وأيضًا نفى فيها عن نفسه اقتراف الصفات الذميمة والذي أراد من خلال سردها لهم أن يتخلوا عنها، وأن يتحلوا بالأخلاق الحميدة.

ثانياً الموضوع:

وأما الموضوع عند التغلبي من قوله: **(إِنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إِلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا...، وَكَمْ قَد زَارَنِي إِنسَانُ وَزُرْتُه، فَانقَلَبَ الدَّهرُ بِنَا فُبُرْتُهُ)**.

وأما الموضوع عند ابن كعب من قوله: **(وإِلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصْلِحْ لَكُم حَالَكُم... وسوءُ الرَّعيةِ يَقْطَعُ أسبابِ المَنفَعَةِ، والضَّغَائِنُ تدعو إلى التَّبَاينِ)**.

تعقيب

وقد اعتمد الموصيان في صلب الموضوع على أسلوبي الطلب والتحذير، وما يترتب عليهما من نتائج، فبين التغلبي لأبنائه أن ما يفعله الإنسان من خير أو شر يرتد إليه قبل أن يغادر الحياة، فكما يفعل الإنسان يجازى، ونصحهم بالكف عن السب والشتم حتي لا يحدث لهم ما حدث له من قبل؛ كي يسلموا من الأذى، وأيضًا بالمحافظة على صلة الرحم كي تعمر ديارهم، والإحسان إلى الجار ليحسن ثناءهم، وغض البصر عن كل محرم، والغيرة، والتحذير من الظلم، وأدب التحدث مع الغير، كما حث أبنائه على التحلي بالأخلاق الحميدة، والتي منها الشجاعة وبيان أفضلية الموت في ساحة القتال دفاعًا عن العرض والأرض، وبتماسك النفس عند الغضب، ولين الجانب عند المعاتبة.

بينما نصح ابن كعب بنيه بتقوى الله ولزوم طاعته ليصلح حالهم، وحذرهم من معصيته حتى لا يحل بهم الدمار، وتوحش منهم الديار، كما نصحهم بالوحدة

والتماسك حتى لا يتفرقوا، وأيضًا بين لهم كيفية التعامل مع الناس، وحثهم على وصل أقربائهم، فحذرهم من قطعها وأن من يفعل ذلك لا يجني من وراء قطيعتها إلا التعب، كما نصحهم باتفاق رأيهم واتحاد كلمتهم؛ لأنهم إذا اختلفوا مكنوا عدوهم منهم، وأيضًا نصحهم بالمعاملة الحسنة والعمل الصالح، وصلة الرحم، وعدم انتهاك الحرمات، وعدم عقوق الوالدين، وأن من يفعل خلاف هذه الصفات لا يجنى من ورائها إلا الهَمَّ.

ثالثاً: الخاتمة

وأما الخاتمة عند التغلبي في قوله: **(واعلَمُوا أَنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وَأَنَّ السَيفَ كَلِيمٌ، إِنِّي لَم أَمُتْ، وَلَكِن هَرِمْتُ، وَدَخَلَتنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ، سَلَّمَكُم رَبُّكُم وَحيَّاكُم)**.

وعند ابن كعب في قوله: **(يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وَكَأَنِّي بهم قَد لَحِقْتُ)**.

تعقيب

ختم التغلبي وصيته بالتحلي بالحكمة، فهي سبيل السلامة من كل ما حذرهم منه، وتذكير أبنائه بما بدأ به وصيته وهو كبر السن، ثم الدعاء لهم بالسلامة من كل مكروه، ولن يتحقق لهم ذلك إلا إذا التزموا بوصيته، ونفذوا كل ما وصى به؛ حتى ينالوا السيادة والشرف.

بينما ختم ابن كعب وصيته بنداء أبنائه؛ وذلك لتنبيههم كأنهم غافلون عنه، حتى لا يملوا حديثه، وأيضًا لاستمالتهم إلى الإصغاء لما سيلقى عليهم، وهو التحذير من الإفراط في الحب، فبعد الحب يكون البغض، فالدنيا لا تستقر على حال، وأخذ العبرة والعظة منه، والتفكر في خلق الله، وما جرى عليهم من تدابير المولى –عز وجل–.

الألفاظ:

كشفت الوصيتان عن أن الأدباء في العصر الجاهلي كانوا يعنون بألفاظهم، فجاءت الألفاظ جزلة قوية مألوفة واضحة ودقيقة، تعبر عن المعنى المراد، إلا أنه قد ورد فيها بعض الألفاظ الغريبة عند التغلبي في قوله: **(الإِهذَار، الضَّنَى، بَكْؤُه، أَهْتَرتُ)**، وعند ابن كعب في قوله: **(كَنَّةٍ، مُومِسَةٍ، الوَرْهَاءَ)**.

المعاني والأساليب:

-كانت المعاني عميقة وواضحة لا غموض فيها، مستمدة من حياتهم، والجمل قصيرة مترابطة؛ لأنهما قد طعنا في السن، يخشيان الموت قبل أن يوصيا أبناءهما، ويرشداهم إلى ما فيه خير لهم؛ كي ينالوا السيادة والشرف بين العرب.

-واتصف الموصيان بسلاسة أسلوبهما ودقته؛ حتى يؤثرا في نفوس من تلقى عليهم الوصية، كي يستميلاهم بالإصغاء إليهما، وخاصة أن الوصيتين جاءتا على لسان مُعمَّرين، فهي خلاصة تجاربهما وخبرتهما في الحياة، وتنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء، فحينما يريدان تنبيه أبنائهما وإصغائهما إلى ما سيلقى عليهم يأتيان بالأسلوب الإنشائي، وحينما يعمدان إلى تقرير الحقائق وتوكيدها يأتيان بالأسلوب الخبري، وكلتا الجملتين الخبرية والإنشائية "تنقل حاجة النفس إلى توفيق المخاطب، لكن الجملة الخبرية أكثر إلحاحًا في هذه الرغبة، وكأنها لقوة إحاطتها بالنفس، أوهمت أن التوفيق وقع والمتكلم يخبر عن هذه الحالة"[١].

---

[١] **معاني التراكيب: دراسة تحليلية في مباحث علم المعاني، أ د عبد الفتاح لاشين /٢/١٠٢،ط١٩٩٩م، دار الفكر العربي- القاهرة.**

المبحث الثاني

الفنون البلاغية الواردة في الوصيتين

من حيث الاستهلال: استهل الموصيان وصيتهما بالأسلوب الإنشائي المتمثل في النداء، وبمقدمة حجاجية[1]، قامت على الربط بين المقدمة والنتائج، غرضها الإقناع واستمالة المخاطبين والتأثير في نفوسهم.

أ- المقدمة: وهي أول عناصر الحِجاج، فهي بمثابة الحجة لبنيهما، وتهدف إلى بيان تجارب الموصيين طوال فترة حياتهما، وقد تحدث التغلبي في بداية الوصية عن الموت، ولا بد أن ينزل به كما نزل بآبائه وأجداده من قبله، بينما تحدث بن كعب عن كبر سنه، وما مر به تجارب نفي فيها عن نفسه اقتراف أي فعل ذميم ينقص من قدره.

ب – الروابط الحجاجية: يأتي بعد المقدمة الروابط، وقد تنوعت الروابط في بث خبرتهما لأبنائهما، وذلك مثل تكرار فعل الأمر، واستخدام الفاء والواو الدالتان على الوصل؛ لاتفاقهما في الإنشائية لفظًا ومعنى، قال التغلبي: **(فاحْفَظُوا عَنِي مَا أُوْصِيكُم بِهِ)**، وقال ابن كعب: **(فَموتُوا عَلَى شَرِيعَتِي، واحْفَظُوا وَصَيَّتِي)**؛ ليبينا ما مر بهما من تجارب في حياتهما، وليسير أبناؤهما على نهجهما.

---

(١)الحجاج: من قولهم: احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة. وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة، أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود/ج١/١٦٩،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها، والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه، لسان العرب /ج٢/٢٨٣.

ج ــ **الأفعال الكلامية**، وهذه الأفعال مرتبطة بصيغة الخطاب الــذي يلقيــه المتكلم، والهدف منها نصح أبنائهما، ومنها:

أ- **الأفعال التوجيهية**، وهي قائمة على توجيه المتكلم للمخاطب نحو نصائح وإرشادات يجب اتباعها من خلال النداء والأمر والنهي، فكلام الموصيان إما أمــرٌ يأمرونهم بما فيه خير لهم، وإما نهيٌ ينهونهم عما فيه شر لهم.

١- **النداء:**

استهل الموصيان وصيتهما بالأسلوب الإنشائي الطلبي المتمثل في النداء، **(يَا بَنِيَّ)** بأداة النداء **(يا)**، وهي لنداء البعيد، وناديا بها القريب، للتقدير وبيان رفعة شأن الأبناء لدى آبائهم حتى أنزلوهم منزلتهم، وللتنبيه كأنهم غافلون عنهم، ولاستمالتهم إلى الإصغاء لما سيلقى عليهم لأهميته، ثم تبع النــداء التصــغير **(بَنــيَّ)**؛ لتــدليل أبنائهما.

وعمدا إلى تقرير الحقائق وتوكيدها فجاءا بالأسلوب الخبري لبث الطمأنينــة في نفوسهم إلى ما يلقى عليهم من توجيهات وإرشادات حياتية للعمل بها.

وقد ورد النداء مرة واحدة عند التغلبي، لكنه قد تكرر مرة أخرى عند ابــن كعب في نهاية وصيته حيث قال: **(يَا بَنِيَّ، إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ؛ فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وَكَأَنِّي بهم قَد لَحِقْتُ)**.

٢-**الأمر**: فالوصيتان موجهتان على جهة الاستعلاء من أبوين إلى أبنائهمــا، حيث اعتمدا على أسلوب الطلب، والنتائج المترتبة عليه، وقد وردت الأوامر متتالية عند التغلبي في قوله: **(فَكُفُّوا عَن الشَّتمِ فَإِنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم، وَصِــلُوا أرحــامَكم تَعْمُرْ دَارُكُم، وأَكرِمُوا جَارَكُم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُم)**، فالطلب هنا: الكــف عــن الشــتم، والنتيجة فإنه أســلم لأعراضكم، وصلة الرحم، والنتيجة: عمارة الــديار بــالخير الوفير.

وقال ابن كعب: (وإِلَهَكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصْلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّــاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ، كُونُوا جميعًــا، ولَــا تَفَرَّقُــوا

فتكونوا شِيَعًا، وبُزُّوا قَبلَ أَنْ تُبَزُّوا، فَمَوتٌ فِي عِزٍّ خيرٌ مِن حَياةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ) فالطلب هنا: تقوى الله، والنتيجة: ليفرج همهم، والتحذير من معصيته؛ حتى لا يحل بهم الدمار، وتوحش منهم الديار، وتوحد كلمتهم؛ حتى لا ينقسموا إلى أحزاب، والدفاع عن أنفسهم وإن كلفهم ذلك حياتهم؛ كي لا يعيشوا أذلاء، وذلك للترغيب في النتائج، وحثهم على تنفيذ ما يلقى عليهم .

وقال التغلبي أيضًا: **(وَزَوِّجُوا بناتِ العَمِّ بَنِي العَمِّ؛ فَإِنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إِلَى الغُربَاءِ، فَلاَ تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكْفَاءِ، وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأَعَفُّ لِلذَّكَرِ)** فالطلب هو الزواج من بعضهم، والنتيجة: لبقاء المودة بينهم، وإن فعلوا خلاف ذلك، أي: تزوجوا من الغرباء فلا يزوجوا إلا الأَكْفَاء، كما طلب منهم إبعاد بيوت النساء عن بيوت الرجال؛ وذلك لعفتهم والمحافظة على بعضهم البعض.

وقال بن كعب: **(زَوِّجُوا النِّساءَ الأكفاءَ، وإلَا فَانتَظِروا بِهِنَّ القَضَاءَ، وَلْيكُنْ أَطيبُ طِيبِهِنَّ المَاءَ، وَإِيَّاكُم والوَرْهَاءَ؛ فَإِنَّها أَدْوُأُ الدَّاءِ، وإِنَّ وَلدَهَا إِلى أَفَنٍ يَكونُ)** فالطلب هو زواج النساء من الرجال الأكفاء.

فالتغلبي شرط عليهم الزواج من بعضهم، سواء أكان الزوج كفئًا أم غير كفء، ولم يشترط الكفاءة إلا إذا تزوجوا من الغرباء، بينما شرطها ابن كعب، ولم يشترط على بنيه الزواج من بعضهم، بل هدفه في الزواج الكفاءة بغض النظر عن الصلة، وقد تفوق ابن كعب على التغلبي في هذا القول الذي حمل في طياته الترغيب في الزواج من الكفء، وإن كان قد قصد بذلك الزواج من الغرباء؛ لما توارد في ذهن العرب أن الزواج من الغرباء أنجب للولد، مما يساعد على امتداد الذرية؛ ليفتخروا بها بين العرب، كما حذرهم من زواج الحمقاء الكثيرة الشحم؛ حرصًا منه على أبنائه وعلى نسلهم من بعدهم.

كما رغب التغلبي بنيه على صلة الرحم كي تعمر ديارهم في قوله: **(وَصِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دَارُكُم)**، بينما حذر ابن كعب بنيه من قطيعتها كي لا يورثوا الهم في قوله: **(وقَطِيعةُ الرَّحمِ تُوْرِثُ الهَمَّ)**.

٣- تلاه أسلوبي النهي والتحذير، حيث نهى التغلبي أبناءه صراحة عن الإفراط في حبهم للناس والتعمق في العلاقات معهم، فقال:**(ولَا تُبَرِّحُوا فِي حُـبِّكُم، فَإنَّه مَن بَرَّحَ فِي حُبِّ آلَ ذَلِكَ إلَى قَبيحِ بُغْضٍ)**.

بينما حذر ابن كعب أبناءه بطريق التعريض من الإفراط في الحب، وعدم الأمان لأحد وأخذ العبرة والعظة منه، فقد فني أقوام وعمر غيرهم، فقال:**(يَا بَنِـيَّ، إنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذَهَبُوا وَغَبَرتُ، وَكَأنِّي بهم قَد لَحِقْتُ)**.

كما حذرهم من معصية المولى – عز وجل- ، وهذا المعنى أجل؛ لأنه يحمل في طياته حث أبنائه على حب الله وتقواه، وتحذيرهم من معصيته فقال: **(وَإيَّـاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ)**.

وحذرهم أيضًا من نكاح الحمقاء الكثيرة الشحم، فقال:**(وَإيَّـاكُم والوَرْهَـاءَ؛ فَإنَّها أَدْوُأُ الدَّاءِ، وإنَّ وَلَدَهَا إلى أَفَنٍ يَكونُ)**.

٤-تلاه أسلوب النفي، وكان الغرض منه عند التغلبي هو اعترافه بمعايرته للغير ومعايرة الغير له، كما أن الغرض منه هو كف أبناءه عن المعايرة، فالجزاء من جنس العمل، فقال: **(إنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا)**.

أما الغرض منه عند ابن كعب هو نفيه عن نفسه اقتراف أي فعل ذميم، فقال ابن كعب: **(مَا صَافَحَتْ يَميني يمينَ غادرٍ، ولا قَنِعْتُ لنفسي بِخُلَّةِ فَاجِرٍ، ولاَ صَبَوْتُ بابنةِ عَمٍّ ولاَ كَنَّةٍ، ولَا بُحْتُ لِصديقٍ بِسِرٍّ، ولاَ طَرَحْتُ عَنْ مُومِسَةٍ قِنَاعًا، ولاَ بَقِي عَلَى دينِ عيسى بنِ مريمَ -وروي: على دين شعيب- من العربِ غيري وغيرَ تميمِ بنِ مُرَّةَ، وأَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ)**.

وعلى الرغم من أن التغلبي قد أثبت من خلال النفي اقترافه للسب والشتم، ومعاقبته بمثله، إلا أنه قد تفوق في هذا المعنى على ابن كعب، من خلال الإيجاز، حيث بين أن ما يقترفه الإنسان من فعل ذميم يجازى عليه، بينما نفى ابن كعب عن نفسه اقتراف أي فعل ذميم، دون أن يبين ما يترتب عليه من عواقب.

٥-ثم اتكأ الموصيان على أسلوب الشرط في بعض الجمل، فورد أسلوب الشرط **بـ (إذا، ومن، وإن)** عند التغلبي فأتى بـ **(إن)** الشرطية إذا كان فعل الشرط نادر الوقوع أو لم يجزم بوقوعه، وما يقوله لأبنائه ينكرونه، ويشكون في وقوعه، وهو الزواج من الغرباء؛ لأن العرب كانوا يزوجون من بعضهم، ولا يزوجون من الغرباء إلا الأَكْفَاء؛ ولذلك صدّر لهم الكلام بـ (إن) الشرطية في قوله: **(فَإِنْ تَعَدَّيتُم بِهِنَّ إِلَى الغُربَاءِ فَلاَ تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكفَاءِ)**، فالزواج من الغرباء أمر نادر غير مقطوع به.

ولما كان تنازعهم في أخذ الثأر وسماعهم لحديث غيرهم وسماع غيرهم لهم أمر محقق الوقوع أتى بـ (إِذَا) في قوله: **(وإِذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقْكم لِلِّقَاءِ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيرٌ مِن ألفٍ، وَوَدٍّ خَيرٌ مِن خَلَفٍ، وَإِذَا حُدِّثْتُم فَعُوا، وَإِذَا حَدَّثْتُم فَأَوجِزُوا، فَإِنَّ معَ الإكثارِ يَكونُ الإِهذَارُ، وَمَوتٌ عَاجِلٌ خَيرٌ مِن ضَنًى آجِل)**.

بينما ورد الشرط بـ (إذا) فقط عند ابن كعب في قوله: **(وَإِذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم)**، للدلالة على أن هذه الأمور واقعة لا محالة، مما يدل على الدقة في استخدام أدوات الشرط للتعبير عن المعنى المراد.

ب_ ومن الأفعال الكلامية الأفعال التأكيدية المطابقة للواقع، حيث أكد الموصيان على كبر سنهما، فقال التغلبي: **(إِنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، وَلَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبِلٍ، وَأَنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ....)**.

بينما قال ابن كعب: **(قَد أَتَتْ عَلَيَّ مائةٌ وستونَ سنةً...)**، جمل خبرية من الضرب الإنكاري، لوجود أكثر من مؤكد، وحق الخبر أن يأتي بلا مؤكدات؛ لأنه

من الآباء لأبنائهم، وأضاف التغلبي ياء المتكلم دلالة على أن ما يوصونهم به نابع من قلوبهم لفلذات أكبادهم.

– وورد المجاز العقلي والقصر بالنفي والاستثناء عند التغلبي، ولم يرد عند ابن كعب، حيث قال التغلبي:(**وَمَا بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَا دَهَانِي بَعدَه زَمَانُ، وَرُبّمَا شَجَانِي مَن لَم يَكنْ أَمرُهُ عَنَانِي، ومَا عَجِبتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إِلَا رَأيتُ بَعدَهَا أُعْجُوبَةً**)، وكان الغرض من القصر والتكرار المبالغة في تغير الزمان عليه من سيء إلى أسوء، والتأكيد على الصبر وأخذ الحذر والحيطة من تقلبات الدهر، والرضا بالواقع، ففيما مضى من عمره قد بكى من زمان ولما مضى ذلك الزمان بكى عليه.

بينما ورد القصر بطريق التقديم عند ابن كعب، فقدم متعلقات الفعل عليه، فقال: (**وإلَهكُم فَاتَّقُوا يَكفِكُمْ مَا أَهَمَّكُم، وَيُصْلِحْ لَكُم حَالَكُم، وَإِيَّاكُم ومَعْصِيتَه، فَيَحِلَّ بِكُم الدَّمارُ، وتُوْحِشَ مِنكُم الدِّيارُ**).

– كمت ورد الإيجاز بالحذف عند التغلبي ولم يرد عند ابن كعب، في قوله:(**إِنِّي وَاللهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمرًا إِلَا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ، إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَنْ سَبَّ سُبَّ**)، بين من خلاله أن ما يفعله الإنسان من صفات ذميمة ترتد إليه، ويجازى عليها.

– كما تعددت صور الإطناب، ومنها: التكرار عند التغلبي في قوله: (**فَبَكْؤُهُ خَيرٌ مِن دَرِّهِ، وَعُقُوقُه خَيرُ مِن بِرِّهِ**)، فكرر كلمة (**خَيرٌ**) الدالة على التفضيل.

والتفصيل بعد الإجمال في قوله: (**إِنِّي لَم أَمُتْ، وَلَكِن هَرِمْتُ، وَدَخَلَتنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبِي فَأَهْتَرتُ**).

والتوشيع عند ابن كعب في قوله: (**وَالدَّهرُ ضَرْبَانِ، ضَربُ بَلَاءٍ، وَضَربُ رَخَاءٍ، واليومُ يَومَانِ، يَومُ حَبْرَةٍ، ويومُ عِبرَةٍ، والناسُ رَجُلَانِ، رَجلُ لَكَ، وَرَجُلُ عَلَيك**)، وذلك على سبيل المبالغة.

والتذيل عند الاثنين لتأكيد كلامهما، ففي قول التغلبي: (إنِّي بَلغتُ مِن العُمُرِ مَا لَم يَبلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولَا بُدَّ مِن أَمرٍ مُقتَبَلٍ، وَأنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِي مَا أُوْصِيكُم بِهِ).

وفي قول ابن كعب: (**وَإِذَا اختلفَ القَومُ أَمْكَنُوا عَدُوَّهم، وَآفَةُ العَدُوِّ اخْتِلَافُ الكلمةِ**).

وكان لاستخدام علم البيان دور بسيط، حيث قَلة الصورة البيانية عندهما، وهذا من خصائص الوصايا في العصر الجاهلي؛ لأنهما يسردان لأبنائهما أمورًا من واقع خبرتهما وطول تجربتها في الحياة.

وتمثل البيان في المجاز المرسل، وورد عند التغلبي، ولم يرد عند ابن كعب، فجاء التغلبي بالمجاز المرسل لعلاقة الجزئية في قوله: (**فَكُفُّوا عَن الشَّتمِ فَإِنَّه أَسْلَمُ لأَعرَاضِكم**).

ولعلاقة المحلية في قوله: (**وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ؛ فَإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ، وَأعَفُّ لِلذَّكَرِ**).

ولعلاقة المسببية في قوله:(**وإِذَا تَنَازَعتُم فِي الدِّماءِ فَلَا يَكُن حَقُّكم لِلِّقَاءِ**)، وكان للمجاز دور واضح مناسبٌ للمعنى المراد، وقد أفاد المبالغة والتوكيد، كما حقق التغلبي من خلاله غرضه بإيجاز.

كما وردت الاستعارة المكنية عند الموصيين منها، في قول التغلبي: (**وَأنْ يَنزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالآبَاءِ والأجدادِ، وَالأُمَّهَاتِ والأولادِ**)، حيث شبه الموت المعنوي بإنسان ينزل في مكان ويقيم به.

وفي قول ابن كعب: (**إِنِّي قَد أَكَلتُ مَعَ أقوامٍ وَشَرِبْتُ، فَذهَبُوا وغَبَرتُ**) استعارة مكنية؛ إذ شبه الموصي الأقوام ونفسه بالشيء الذي يذهب بعضه ويبقى آخر.

ووردت أيضًا الاستعارة التصريحية الأصلية والتبعية عند التغلبي، أما الاستعارة التصريحية الأصلية فقد وردت في قوله:(**فَإِنَّك تُذلُّ عَلَى قَرِيبِكَ**)، معنى

مجازي في **(ذُل القَريبِ)** قصد به اللين والرأفة.

والاستعارة التصريحية التبعية في الحرف والفعل عند التغلبي، ففي الحرف عبر بـ **(من)** دون **(عن)** في قوله: **(وَأَبْعِدُوا بُيوتَ النِسَاءِ مِن بُيوتِ الرِجَالِ)**؛ للدلالة على شدة حرصه على تنفيذ وصيته، وهى الفصل بين النساء والرجال لعفتهم.

واستعارة تصريحية تبعية في الفعل **(أبعدوا)** أي: أنه قد استعار **(البعد)** للفصل بينهم، أي: **(افصلوا بيوت النساء عن بيوت الرجال)**.

ووردت الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل فقط عند ابن كعب، منها في قوله: (ولاَ طَرَحْتُ عَنْ مُومِسَةٍ قِنَاعًا)، حيث استعار الطرح لرمي الشيء وإلقاءه أرضًا، الغرض منها بيان مدى عفته وطهارته والتزامه بالأخلاق الحميدة.

وأما الكناية فقد وردت عند الموصيين في مواطن عديدة، ولا يخفى ما لها من قيمة بلاغية، فهي أبلغ من التصريح، حيث أفادت تأكيد المعنى وتقريره في نفس السامع، «وقد رفعت الكناية من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه في نظر المتلقي، وتعمل على توكيده في نفسه»[١].

وعمدا إلى الصبغ البديعي اللفظي منه والمعنوي والذي أضفى على الكلام رونقًا وجمالًا ونغمًا موسيقيًّا، وتعددت الفنون البديعية اللفظية والمعنوية، أما اللفظية: فقد جاء الموصيان بالجناس والسجع عفو الخاطر، وغلب على أسلوبهما السجع الناتج من إتقان فواصل الجمل، فقد كان عفويًّا طلبه المعنى واستدعاه دون تكلف، وجاء تابعًا للمعنى، وأما المعنوية: فقد انحصرت في مراعاة النظير، والطباق، والمقابلة.

---

[١] **المجاز المرسل والكناية، الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس، ٢٠٢، ط١، لبنان.**

الخاتمة

وبعد معايشة وصيتي الأبوين لبنيهما سجل البحث أهم النتائج وبعض التوصيات:

أولًا: النتائج العامة، ومنها:

ما اتفقت فيه الوصيتان فهو كالآتي:

– اتفقت الوصيتان في الموضوع، وفي صيغة الخطاب والتعبير، وكان الهدف منهما واحدًا، وهو بيان تجربتهما الحياتية، وحث أبنائهما على السير على نهجهما؛ لينالوا السيادة والشرف بين العرب إذا استفادوا من تجاربهما واقتدوا بها.

– حثت الوصيتان على التمسك بالقيم والمبادئ السائدة في العصر الجاهلي، وحرص الموصيان على بثها في نفوس أبنائهما، كما حذراهم من ارتكاب المعاصي، واقتراف الأفعال الذميمة كي لا يحل بهم الدمار، وتوحش منهم الديار.

– اعتمد الموصيان في وصيتهما على الجمل القصيرة؛ لكبر سنهما، وحتى لا يمل أبناؤهما من الإصغاء إليهما.

– كما اعتمدا على الحقيقة، وإن كانا قد أتيا بالمجاز لخدمة الحقيقة، حيث مزجا بين الحقيقة والمجاز.

– لوحظ في وصية ابن كعب أنه قد ختمها بأبيات من شعره، بخلاف التغلبي الذي سار على نهج واحد.

ثانيًا: الفنون البلاغية التي وردت في البحث:

– اتفقت الوصيتان في الابتداء بالأسلوب الإنشائي المتمثل في النداء، وغلب على الموصيين المزاوجة بين الخبر والإنشاء، والميل إلى تقرير الحقائق؛ لذا علا الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي؛ لأنه يقرر حقائق يجب على الأبناء اتباعها والسير على نهجها.

– كان لأفعال الأمر الصدارة في التعبير؛ وذلك للنصح والإرشاد، فالوصيتان موجهتان على جهة الاستعلاء من الأبوين إلى أبنائهما.

– التقديم والتأخير بين المتعلقات، كما ورد عند الحارث بن كعب.

– كما تعددت صور الإطناب، ومنها: التذييل عند الموصيين، والتكرار والتفصيل بعد الإجمال عند التغلبي، والتوشيع عند ابن كعب، وذلك على سبيل التأكيد والمبالغة.

– وكان لاستخدام علم البيان – المتمثل في المجاز المرسل، والاستعارة المكنية، والاستعارة التصريحية الأصلية والتبعية، والكناية – دور بسيط–، ولا يخفى دور الكناية وذلك لما لها من قيمة بلاغية، فهي أبلغ من التصريح، حيث أفادت تأكيد المعنى وتقريره في نفس السامع.

– وتعددت الفنون البديعية اللفظية والمعنوية، أما اللفظية: فقد جاءا بالجناس والسجع عفو الخاطر، حيث طلبه المعنى واستدعاه، وأما المعنوية: فقد انحصرت في مراعاة النظير، والطباق، والمقابلة.

ثالثًا: بعض التوصيات

وأما عن بعض التوصيات التي أوصي بها، فهي كالآتي:

١– الاهتمام بدراسة الوصايا، وخاصة وصايا الآباء لأبنائهم على مر العصور، فما أحوجنا إليها اليوم في غرس القيم السليمة والمبادئ القويمة في نفوس الأبناء.

٢– مواصلة البحث في وصايا العصر الجاهلي بتناول باقي وصاياه، فهي في حاجة إلى دراسة.

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث، والله أسأل أن يلبس بحثي ثوب القبول، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فإنه أفضل مأمول، وأكرم مسئول.

فهرس المصادر والمراجع

- أدب العرب في عصر الجاهلية، د، حسين الحاج حسن، ط٣، ١٩٩٧م، ١٤١٧هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م الطبعة: الأولى الناشر: دار الكتب العلمية

-الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي

الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، **١٤٢٢هـ.**

-جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الباب الأول: الخطب والوصايا في العصر الجاهلي، المؤلف: أحمد زكي صفوت، الناشر: المكتبة العلمية بيروت-لبنان.

-رجال المعلقات العشر، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، الطبعة الثانية،١٣٣٢هـ،المطبعة الأهلية بيروت.

-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.

- **الصناعتين في الكتابة والشعر لأبى هلال الحسن بن عبدالله العسكري ت: مفيد قمحة، ص٢٨٥، ط٢، ١٩٨٩م لبنان.**

-طبقات فحول الشعراء، المؤلف: محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - جدة.

- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

-في تاريخ الأدب الجاهلي، المؤلف: علي الجندي، الطبعة: طبعة دار التراث الأول١٤١٢هـ - ١٩٩١م الناشر: مكتبة دار التراث.

- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر - بيروت.

- المجاز المرسل والكناية، الأبعاد المعرفية والجمالية، د. يوسف أبو العدوس، ط١، لبنان.

- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د عبد الله الطيب، ط١ ١٩٥٥م دار الفكر القاهرة.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
-معاني التراكيب: دراسة تحليلية في مباحث علم المعاني، أ د عبد الفتاح لاشين، ط١٩٩٩م، دار الفكر العربي- القاهرة.
-معجم الشعراء، المؤلف: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازي، ط١، ٢٠٠٤م.

فهرس المحتويات

م	الموضـــوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣٥٠
٢-	Abstract	١٣٥٢
٣-	مقدمة.	١٣٥٤
٤-	التمهيد.	١٣٥٨
٥-	الفصل الأول: وصية عمرو بن كلثوم دراسة بلاغية.	١٣٦٥
٦-	الفصل الثاني: وصية الحارث بن كعب دراسة بلاغية.	١٣٨٣
٧-	الفصل الثالث: الموازنة بين الوصيتين.	١٣٩٢
٨-	الخاتمة والتوصيات.	١٤٠٤
٩-	فهرس المصادر والمراجع.	١٤٠٦
١٠-	فهرس المحتويات.	١٤٠٩

تم بحمد الله